الكنز الجليل على مدارك التنزيل وحقائق التأويل

لأبي البركات النسفي للعلامة إبراهيم بن إبراهيم الجناجي

المعروف ببصيلة المتوفى سنة ١٣٥٢هـ

(دراسة وتحقيق: من أول سورة التوبة إلى الآية ٣٠)

إعداد الباحثة

شاهه الطوير معيوف العنزي

درجة الدكتوراه - تخصص الكتاب والسنة - قسم الشريعة والدراسات الإسلامية - كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة الملك عبد العزيز

E.mail : shahaalanze@gmail.com

ملخص البحث:

الكنز الجليل على مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات النسفي للعلامة إبراهيم بن إبراهيم الجناجي المعروف ببصيلة المتوفى سنة ١٣٥٢هـ

(دراسة وتحقيق: من أول سورة التوبة إلى الآية ٣٠)

الباحثة / شاهه الطوير معيوف العنزي

تناول البحث الكنز الجليل على مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات النسفي للعلامة إبراهيم بن إبراهيم الجناجي المعروف ببصيلة المتوفى سنة ١٣٥٢هـ (دراسة وتحقيق: من أول سورة التوبة إلى الآية ٣٠)، وتكون من مقدمة ومبحثين، شملت المقدمة أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، ومنهجه، والدراسات السابقة، بينما جاء المبحث الأول للتعريف بصاحب الكتاب من حيث اسمه ونسبه، ومولده ونشأته، وفضله وثناء العلماء عليه، وأبرز مصنفاته، ووفاته، بينما جاء المبحث الثاني عبارة عن دراسة وتحقيق من الآية الأولى وحتى الآية الثلاثين من سورة التوبة، في ضوء الكنز الجليل على مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات النسفي للعلامة إبراهيم بن إبراهيم الجناجي المعروف ببصيلة، ثم اختتم البحث بأبرز النتائج والتوصيات، ومن هذه النتائج ما يلي: ولد الإمام النسفي في بلدة (إيْذَج) بكسر الهمزة وسكون الياء وذال معجمة مفتوحة وجيم، وهي من قرى سمرقند عند الجبل، وهي التي ولد بها، وينسب إليها كثير من العلماء، كان للمحيط البيئي الذي عاش فيه الإمام النسفي أثر كبير في تكوينه العلمي والخلقي، فقد ذكرت كتب التراجم أنه تلقى العلم على أيدي علماء من أهل زمانه، كان لهم كبير الأثر في نمو معرفته وثقافته ونضجه الفكري، للإمام النسفي الكثير من التلاميذ الذين طلبوا العلم على يديه؛ وذلك لسعة علمه، ولكن لم تعن التراجم ببيان هؤلاء التلاميذ- وهم غير قليل-، وقد يرجع ذلك لضعف شهرتهم، أو للاضطرابات السياسية آنذاك، لقد بلغ الإمام النسفي مكانة علمية رفيعة؛ وذلك بجده واجتهاده ومثابرته في تحصيل شتى العلوم والمعارف، إضافة إلى ما وهبه الله تعالى من تقوى وزهد وورع، وهذا واضح في مؤلفاته، التي تدل على علو مكانته العلمية؛ فاشتهر في عصره وبعد عصره، وأثنى العلماء عليه في كل زمان. الإمام النسفي ماتريدي العقيدة ومن أعيانها ومشايخها ومؤيديها، تابع الإمام النسفي أستاذه الكَرْدَري في موافقة أبي حنيفة في الفقه، وصار إماماً من أئمة المذهب الحنفي، وفقيهاً من فقهائه، لسورة التوبة أسماء عشرة: سورة التوبة، وسورة براءة، وهذان الإسمان مشهوران، وهي المقشقشة، قاله ابن عمر-رضي الله عنه- سميت بذلك؛ لأنها تقشقش من

النفاق أي: تبرئ منه، وهي المبعثرة لأنها تبعثر عن أخبار المنافقين وتبحث عنها وتثيرها، وهي الفاضحة قاله ابن عباس -رضي الله عنهما- لأنها فضحت المنافقين، وسورة العذاب قاله حذيفة، وهي المخزية لأن فيها خزى المنافقين. وهي المدمدمة سميت بذلك؛ لأن فيها هلاك المنافقين. وهي المشردة سميت بذلك؛ لأنها شردت جموع المنافقين وفرقتهم. وهي المثيرة سميت بذلك؛ لأنها أثارت مخازي المنافقين وكشفت عن أحوالهم وهتكت أستارهم.

الكلمات المفتاحية : الكنز الجليل - مدارك التنزيل - حقائق التأويل .

E.mail : shahaalanze@gmail.com

The Treasure of Galil on the Perception of the Revealing and the Facts of Interpretation (Alkanz Aljalil alaa Madarik Altanzil Wa Haqayiq Altaawil) of Abu Barakat Al-Nasfi of the Prominent Figure Ibrahim bin Ibrahim Al-Janaji Known as Bosaila Deceased in ١٣٥٢ A.H. (Study and Investigation: from the First Tauba Surah to the Verse ٣٠)

Prepare

Shaha Al Twair Mayouf Al Enezi
Specialization of the Book and Sunnah - Department of Sharia and Islamic Studies - Faculty of Arts and Humanities - King Abdulaziz University

ABSTRACT
The research deals with the treasure of Galil on the perceptions of revealing and the facts of interpretation of Abu Al-Barakat Al-Nasfi of the scholar Ibrahim ibn Ibrahim Al-Janaji who died in ١٣٥٢ A.H. (study and investigation: from the first Surah Al-Tawba to verse ٣٠). The study consisted of an introduction and two chapters. the introduction addressed the significance of the research, the reasons for selecting the study issue, its methodology and the previous studies. The first chapter identified the owner of the book in terms of his name and origin, his birth and

upbringing, the virtue and praise of scientists, his most prominent work and his death. The second chapter is an investigation from the first verse of Surah al-Tawbah to the thirty verse, in the light of the treasure of Galil on the perception of the revealing and the facts of interpretation (Alkanz Aljalil alaa Madarik Altanzil Wa Haqayiq Altaawil) of Abu Al-Barakat Al-Nasafi of the scholar Ibrahim bin Ibrahim Al-Janaji. The research concluded with the most prominent results and recommendations, including the following: Imam Al-Nasafi was born in the town (Ithj), has reached a high scientific status and his hard work and perseverance in the collection of various sciences and knowledge, in addition to what God Almighty gave of piety and asceticism. Imam Al-Nasafi adopted the Matridi school and was one of its figures and supporters. Imam Al-Nasafi followed his Kurdish teacher in the approval of Abu Hanifa in jurisprudence, and became an imam of the Hanafi school. Surah Al-Tawba has about ten names; of which the most common are Al-Tawba and Al-Bara'ah.

Key words: Treasure of Galilee - download orbit - facts of interpretation.

E.mail : shahaalanze@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستغفره ونستعين به ونستهديه ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبده ورسوله، المبعوث رحمة للعالمين.

أما بعد:

فإن تعلم كتاب الله والبحث فيه، من أجل العلوم التي يجب على المسلم التعمق فيها، والبحث عن ما فيه من معارف وعلوم جليلة، ومن أجل القربات، وأنفع الطاعات، في الحياة وبعد الممات، ومن سلكه وأخذ بطريقه فقد نال الحظ الوفير، وعلم التفسير من أعظم ما صنف فيه لفهم القران الكريم، ومن أجل العلوم الشرعية وأرفعها قدرا، وأقربها إلى النفوس ؛ لتعلقها بفهم كتاب الله، فبه يحصل التدبر والفهم السليم لمعاني القران العظيم، وأرفعها قدراً، إذ شرف العلم بشرف موضوعه، وموضوعه كلام الله الذي هو ينبوع كل حكمة، ومعدن كل فضيلة، ولا يستطيع المسلم أن يفهم القرآن الكريم ويستخرج أحكامه وحِكمه ومقاصده وأسراره وكنوزه إلا من خلال علم التفسير، ولهذا فهو يأتي في مقدمة العلوم التي يحتاج إليها المسلم في دينه ودنياه، وقد اعتنى علماء الأمّة الإسلاميّة على مرّ العصور بعلم التفسير، بل وحَرَصوا على التصنيف في كل نوع من أنواعه، والتبحّر في كل فنّ من فنونه، وبذلوا الجَهد الكبير لمعرفة مراد الله تعالى في آيات وسور القرآن الكريم.

ومما لجأ إليه العلماء في العصور المتأخرة لخدمة علم التفسير، تحقيق المخطوطات، فهو الإرث الذي لا ينقطع، رغبة في خدمة كتاب الله -عز وجل- ونيل شرفه العظيم، والخوض في تجربة التحقيق العلمي الموثق، القائم على أصول التحقيق السليم، واكتساب مهارات جديدة، وعلوم جديدة، إحياء للتراث الإسلامي.

أهمية الموضوع:

١-إنَّ تفسير النسفي مختصرًا من تفسير البيضاوي، ومن تفسير الزمخشري، غير أنه ترك ما في الكشاف من الاعتزالات، وجرى فيه على مذهب أهل السنة والجماعة، وهذه الحاشية على تفسير النسفي، فالاهتمام بها اهتمام بعدة تفاسير

تعد من أمهات علم التفسير، فقد احتوت على كنوز ثمينة، غزيرة النفع، جمة الفوائد، وفي ذلك من تمام الفائدة ما هو حريّ للعمل في خدمة هذا المخطوط.
٢-تكمن أهمية الموضوع في قيمة تفسير النسفي العلمية، وقيمة هذه الحاشية العلمية والتي تتمثل في:
أ-جمع المؤلف لتحقيقات المفسرين وأقوالهم من الكتب المعتبرة.
ب-تفسير بعض الآيات القرآنية التي لم يوفيها النسفي – رحمه الله – حقها من التفسير، وكشف الستار عما في تفسيره من مبهمات وغوامض.
ج-أمانة صاحب المخطوط، وتوثيقه لما نقله في حاشيته على المدارك، والإضافات الغزيرة التي ضمَّنها للحاشية، وبعضها من مخطوطات لم تحقق بعد.

أسباب اختيار الموضوع:
١- خدمة كتاب الله الجليل، لنيل شرفه العظيم.
٢-خوض غمار التحقيق العلمي، واكتساب مهارات جديدة من خلال التعرف على المخطوطات، وكيفية التحقيق.
٣-أحببت المشاركة في إحياء التراث الإسلامي، وجعله في متناول أيدي طلبة العلم؛ ليتسنى الاطلاع عليه والكشف عن كنوزه الدفينة.
٤-مكانة تفسير النسفي العلمية وشهرته بين طلاب العلم، لاشتماله على كثير من العلوم، مما يستدعي ضرورة دراسته ومناقشة بعض أرائه وبيان مذهب السلف فيها.
٥-قيمة الحاشية العلمية التي سبق ذكرها.
٦-إنَّ الاشتغال بتحقيق هذا الكتاب من قبِل طلبة العلم، يدعو إلى الرجوع إلى جلّ كتب التفسير، وما يتعلق به من مسائل في علوم القرآن، وعلوم الحديث، والعقيدة، والفقه، وعلوم اللغة، والبلاغة، وغيرها، مما يرفع الحصيلة العلمية لدى الطالب، ويضيف له الكثير من المهارات العلمية والبحثية.
٧-مكانة الإمام النسفي رحمه الله العلمية، إذ أنه من العلماء المتقدمين الذين كان لهم دور بارز في إثراء المكتبة الإسلامية بالعلم النافع، فقد كان إماماً في الفقه والأصول والحديث والتفسير، وله الكثير من المصنفات التي تداولها العلماء وتناولوها دراسة وبحثاً.
٨-مكانة المؤلف العلمية، وعرف بنتاجه العلمي في علوم متنوعة منها: في الفقه والنحو.
٩-حوى المخطوط على ثروة نفيسة تمثلت في أقوال العلماء المنقولة من كتب مخطوطة أو مفقودة.
١٠-أن هذا المخطوط لم يحقق من قبل، ولم يطبع حسب علمنا.

منهج البحث:

١-كتابة شرح المصنف في أعلى الصفحة ثم يتلوه التحقيق مفصول بينهما بفاصل.

٢-الاعتماد على النسخة الوحيدة الموجودة لدينا وتعزيز وحدتها بمقابلتها مع موارد المخطوط ومصادر المؤلف التي نقل عنها مع إثبات الفروق وإكمال النقص في الهامش.

٣-نسخ المخطوط وفق قواعد الرسم الإملائي الحديث مع ضبط المشكل من النص المحقق.

٤-عزو الآيات القرآنية إلى سورها وأرقامها مع كتابتها بالرسم العثماني.

٥-تخريج الأحاديث النبوية وعزوها إلى مصادرها فإن وجد الحديث في الصحيحين فيكتفى بالعزو إليهما وإلا خرج من كتب السنة المعتمدة مع ذكر حكم العلماء عليها.

٦-توثيق الأقوال والنقولات وكلام أهل العلم قدر الطاقة من مصادرها الأصلية فإن لم أجد فالفرعية.

٧-الاعتناء بالمسائل العقدية التي يوردها الإمام النسفي رحمه الله والتنبيه عليها وذلك بالرجوع إلى التفاسير التي اعتنت بالعقيدة السلفية وإبراز منهج أهل السنة والجماعة في ذلك.

٨-الاهتمام بالمسائل الفقهية الموافقة للدليل دون تعصب لمذهب معين، فالعلامة النسفي حنفي المذهب ويكاد يقتصر في تفسيره على ذكر مذهبه دون التعويل على غيره من الأقوال في كثير من المواضع.

٩-الترجمة لجميع الأعلام عند ذكرهم لأول مرة، عدا المشهورين منهم: كالعشرة المبشرين بالجنة، والأنبياء والرسل، معتمدة في الترجمة على مصدرين، وعند الحاجة على ثلاثة مصادر.

١٠-التعريف بالمصطلحات والألفاظ الغريبة مع ضبطها بالشكل.

١١-التعريف بالأماكن والبلدان الوارد ذكرها في الكتاب مع بيان موقعها الجغرافي في العصر الحاضر بقدر الإمكان.

١٢-التعليق على ما يحتاج إلى ذلك من المسائل الواردة في المخطوط.

١١-ذكر اسم المؤلف ولقبه واسم الكتاب وبيانات النشر كاملة عند ذكر المرجع أو المصدر لأول مرة وإن تكرر يكتفى بذكر لقبه مع الإشارة للكتاب بلفظ مرجع سابق.

الدراسات السابقة:

من خلال البحث لم نجد عملاً علمياً كتب على تفسير النسفي " **مدارك التنزيل وحقائق التأويل** " سوى كتاب " **الإكليل تفسير النسفي مدارك التنزيل وحقائق التأويل** "، تأليف: محمد عبد الحق بن شاه الهندي الحنفي (ت١٣٣٣ه)، تحقيق: محي الدين أسامة البيرقدار، طبعة دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى عام: ١٤٣٣ه، في سبعة أجزاء، وهو شرح مفصل لمدارك التنزيل[١].

خطة البحث:

المقدمة، وتشمل: أهمية الموضوع – أسباب اختيار الموضوع – المنهج المتبع في دارسة الموضوع – الدراسات السابقة.

المبحث الأول: التعريف بصاحب الكتاب، من حيث: اسمه ونسبه – مولده ونشأته – فضله وثناء العلماء عليه – مصنفاته – وفاته.

المبحث الثاني: دراسة وتحقيق من الآية الأولى وحتى الآية الثلاثين.

أبرز النتائج والتوصيات.

(١) ذكر ذلك محقق الكتاب في مقدمته (٤/١).

المبحث الأول: التعريف بصاحب الكتاب[1]

(١)- اسمه ولقبه وكنيته ونسبه:

عبد الله بن أحمد بن محمود النّسفي، الملقب بحافظ الدين، المكنى بأبي البركات، وينتسب إلى: "نَسَف" بفتح أوله وثانيه ثم فاء ببلاد السند، من بلاد ما وراء النهر، وهي مدينة كبيرة كثيرة الأهل بين جيحون وسمرقند، وتعرف اليوم باسم (قرش) أي القصر، وتقع حالياً في الجنوب الغربي من الاتحاد السوفيتي، سماها العرب في القرون الوسطى (نسف) والفرس (نخشب) ولها قرى كثيرة ونواح، ولها نهر واحد يجري في وسط المدينة، وهي مجمع مياه (كش) ويصير منها هذا النهر فيشرع إلى القرى، والغالب على أرضها الخصب، ولها أربعة أبواب، وتقع على مدرج بخارى وبلخ، وخرج منها جماعة كثيرة من أهل العلم والفضل في شتى الفنون، منهم أبو إسحاق إبراهيم بن معقل بن الحجاج بن خداش النسفي(ت٢٩٤هـ) وكان من أصحاب الحديث الثقات، وكتب الكثير، وجمع السنة والتفسير.

(٢)- مولده:

لم تذكر كتب التراجم سنة ميلاده، ولكن من المعروف أنه ولد في بلدة (إيْذَج) بكسر الهمزة وسكون الياء وذال معجمة مفتوحة وجيم، وهي من قرى سمرقند عند الجبل، وهي التي ولد بها، وينسب إليها كثير من العلماء؛ منهم: أبو الحسين محمد بن الحسين الإيذجي (ت٣٨٧هـ)، وهناك إيْذَج أخرى بين خوزستان وأصبهان[2].

ومن الممكن أن نستنبط تاريخ مولده من وفاة شيوخه فكان أول من مات منهم أبو الوجد محمد بن عبدالستار بن محمد العمادي الكَرْدَري البراتيقيني، الملقب بشمس الأئمة (ت٦٤٢هـ)، ومحمد بن محمود بن عبد الكريم الكَرْدَري، الحنفي المعروف بخُواهر زاده (٦٥١هـ)، وعلي بن محمد بن علي الرامشي البخاري، الملقب بحميد الدين الضرير (ت٦٦٦هـ).

---

(١) ينظر: الأعلام للزركلي (٢٨/١) ، معجم المفسرين – من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر - لعادل نويهض (٨/١) ، خاتمة المخطوط، و البغدادي المعروف بابن سعد (ت: ٢٣٠هـ)، **(الطبقات الكبرى)**، ج٣، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت، (الطبعة: الأولى، ١٩٦٨م، ٢٨٥)،

(٢) ينظر: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، **(البداية والنهاية)**، ج٣، المحقق: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، (الطبعة: الأولى ١٤٠٨، هـ - ١٩٨٨ م، ج٢، ٢٩٤)، و البغدادي المعروف بابن سعد (ت: ٢٣٠هـ)، **(الطبقات الكبرى)**، ج٣، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت، (الطبعة: الأولى، ١٩٦٨م، ٢٨٨).

وبالتالي ولد الإمام النسفي في النصف الأول من القرن السابع الهجري تقريباً، أي قبل وفاة شيخه أبو الوجد الكردري بزمن يصلح لتحمله العلم.

(٣)- نشأته:

لم تذكر كتب التراجم شيئاً عن نشأته، وحياته، وأسرته، وكيفية طلبه للعلم منذ صغره، وبماذا بدأ من العلوم. .. ولكن يستنتج هذا من خلال مؤلفاته. والمقطوع به من خلال آثاره العلمية وتبحره في عدد من العلوم والمعارف أنه نشأ نشأة صالحة مبكرة في طلب العلم– كغيره من العلماء– فحفظ القرآن الكريم، والمتون، وطرفاً من السنة النبوية، واللغة العربية، وعلم القراءات، إلى غير ذلك من العلوم والمعارف التي تعد من أساسيات العلم.

وبالتالي فهو لم يصل إلى هذه المنزلة، ولم يُحَصّل هذا العلم إلاّ بالترقي من مرحلة إلى أخرى، ولعله التقى ببعض العلماء في سفره ورحلاته، ودارسهم وأخذ منهم؛ فقد ذكرت بعض كتب التراجم أنه سافر إلى بغداد.

ولابد للإمام النسفي من شيوخ تلقى العلم على أيديهم، واستفاد منهم، حتى وصل إلى ما هو عليه من العلم والفضل والصلاح والتقوى، وصار يشار إليه بالبنان، ويذكر باللسان.

(٤)- شيوخه:

كان للمحيط البيئي الذي عاش فيه الإمام النسفي أثر كبير في تكوينه العلمي والخلقي، فقد ذكرت كتب التراجم أنه تلقى العلم على أيدي علماء من أهل زمانه، كان لهم كبير الأثر في نمو معرفته وثقافته ونضجه الفكري؛ نذكر منهم ما يلي[1]:

- **محمد بن عبد الستار بن محمد العمادي الكَرْدَري البراتيقيني،** الملقب بشمس الأئمة، المكنى بأبي الوجد، كان أستاذ الأئمة على الإطلاق، والموفود إليه من الآفاق، وُلد ببراتقين- من أعمال كَرْدَر، وكَرْدَر ناحية كبيرة من بلاد خوارزم- في الثامن عشر من ذي القعدة سنة (٥٥٩هـ) تسع وخمسين وخمسمائة، وتوفي ببخارى، يوم الجمعة التاسع من محرم سنة (ت٦٤٢هـ)

(١) ينظر: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، **(سير أعلام النبلاء)**، ج٣، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة، (الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م، ج٢٣، ١١٢)وأبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، **(البداية والنهاية)**، ج٣، المحقق: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، (الطبعة: الأولى ١٤٠٨، هـ - ١٩٨٨ م، ج٢، ٢٩٤)، و البغدادي المعروف بابن سعد (ت: ٢٣٠هـ)، **(الطبقات الكبرى)**، ج٣، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت، (الطبعة: الأولى، ١٩٦٨م، ٢٨٨)،

اثنتين وأربعين وستمائة، ودفن بِسَبُذْمون، عند قبر الأستاذ أبي محمد عبد الله بن محمد بن يعقوب الحارثي السَّبُذْمونيّ، على نصف فرسخ من البلد.

وتفقه على يد برهان الدين أبي الحسن على بن أبي بكر، صاحب الهداية، كما تفقه على يد غيره، وله تلاميذ كُثُر، وبرع في العلوم، وفاق أقرانه، وأُقر له بالفضل والتقدم على أهل زمانه، حتى قيل إنه أحيا علم الفروع وأصوله بعد أبي زيد الدبوسي.

وذكر (البغدادي، ١٩٥١، ١٢٢) أن له الكثير من المؤلفات نذكر منها ما يلي[١]:

- حل مشكلات القدوري.
- الرد والانتصار لأبي حنيفة أمام فقهاء الأمصار.
- الفوائد المنيفة في الذب عن أبي حنيفة.
- تأسيس القواعد في عصمة الأنبياء.
- شرح مختصر الشيخ حسام الدين الأخسيكثي.. .. وغير ذلك.

ومما يدل على تتلمذ الإمام النسفي على يد محمد بن عبدالستار بن محمد العمادي الكَرْدَري البراتيقيني، ما ذكرته كتب التراجم [٢] في ذلك بشكل صريح.

- **محمد بن محمود بن عبد الكريم الكَرْدَري الحنفي بدر الدين**، المعروف بخُواهر زاده، ابن أخت شمس الأئمة محمد بن عبد الستار الكَرْدَري، ورباه خاله تربية حسنة، ونشأ عنده، وبلغ رتبة الكمال، وتفقه على يديه، وتوفي سَلْخَ ذي القعدة، سنة (٦٥١هـ) إحدى وخمسين وستمائة، وممن سمع منه محمود صاحب كتاب الحقائق شارح المنظومة.

وذكر (البغدادي، ١٩٥١، ١٢٥) أن له الكثير من المصنفات منها[٣]:

- الجواهر المنظومة في أصول الدين.
- شرح الحيل الشرعية للخصاف.

ومما يدل على تتلمذ الإمام النسفي على يد محمد بن محمود بن عبد الكريم الكَرْدَري الحنفي بدر الدين، ما ذكرته كتب التراجم في ذلك بشكل صريح.

- **علي بن محمد بن علي الرامشي البخاري**، نجم العلماء، الملقب بحميد الدين الضرير، كان إماماً كبيراً فقيهاً أصولياً محدثاً مفسراً جدلياً كلامياً حافظاً

---

(١) ينظر: البغدادي، **(الطبقات الكبرى)**، ج٣، مرجع سابق، ١٢٢،

(٢) ينظر: علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، **(الإصابة في تمييز الصحابة)**، ج٢، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، (الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ، ٢٤٧)، والقرشي، **(البداية والنهاية)**، ج٢، ٢٩٥.

(٣) ينظر: البغدادي، **(الطبقات الكبرى)**، ج٣، مرجع سابق، ١٢٥،

متقناً، انتهت إليه رياسة العلم بما وراء النهر، وتفقه على شمس الأئمة محمد بن عبد الستار الكَرْدَري، وسمع من جلال الدين عبيد الله المحبوبي، وله الكثير من المصنفاتوالبغدادي، ١٩٥١، ٧١١) نذكر منها ما يلي[١]:

- شرح أصول البزدوي.
- شرح الجامع الكبير للشيباني في الفروع.
- شرح الفقه النافع للسمرقندي.
- الفوائد الفقهية في شرح الهداية للمرغيتاني.
- الموجز في شرح المنظومة النسفية.. .. وغير ذلك.

وتوفي علي بن محمد بن علي الرامشي البخاري يوم الأحد الثاني من ذي القعدة، سنة (٦٦٦هـ) ست وستين وستمائة، وصلى عليه الإمام حافظ الدين النسفي في خلق في الصحراء التي قُبالة تل أبي حفص الكبير، ودفن بهذا التل، ووضعه في قبره، ويقال حضر الصلاة عليه أكثر من خمسين ألف رجل[٢].

(٥)- تلاميذه:

للإمام النسفي الكثير من التلاميذ الذين طلبوا العلم على يديه؛ وذلك لسعة علمه، ولكن لم تعن التراجم ببيان هؤلاء التلاميذ- وهم غير قليل-، وقد يرجع ذلك لضعف شهرتهم، أو للاضطرابات السياسية آنذاك، وبعد الدراسة والبحث نذكر منهم تلميذاً واحداً وهو ما تيسر معرفته من كتب التراجم[٣]:

- **الإمام الحسين بن علي بن الحجاج بن علي الصِّغْنَاقيّ البخاري**، الفقيه، الحنفي، المُلقب بحسام الدين، دخل بغداد ودرّس بها بمشهد أبي حنيفة، ثم توجه إلى دمشق سنة عشر وسبعمائة من الهجرة، وتوفي في رجب، سنة (٧١١ أو ٧١٤هـ) إحدى أو أربع عشرة وسبعمائة بحلب.

ومن مصنفاته:

- شرح الهداية، وفرغ منه في أواخر ربيع الأول سنة سبعمائة.
- شرح المختصر المنسوب للحسام الأخسيكثي، المسمى بالمنتخب، وسماه الوافي.
- شرح التمهيد في أصول الدين لأبي المعين النسفي.
- الكافي شرح البزدوي.
- شرح التمهيد للمكحولي.

---

(١) ينظر: البغدادي، **(الطبقات الكبرى)**، ج٣، مرجع سابق، ٧١١، والقرشي، **(البداية والنهاية)**، مرجع سابق، ج٢، ٢٩٨.

(٢)القرشي، **(البداية والنهاية)**، مرجع سابق، ج٢، ٥٩٨.

(٣)القرشي، **(البداية والنهاية)**، مرجع سابق، ج٢، ١١٤.

ومما يدل على تتلمذه على الإمام النسفي ما ذكره (القرشي، ج٢، ١٩٩٣، ١١٦) " فما ذكر في شرحه للهداية من لفظ الشيخ، فالمراد به حافظ الدين، وما ذكر من لفظ الأستاذ، فالمراد به فخر الدين المايْمَرْغِيّ" [(١)]. وهناك أيضاً من ذكر تلمذته صراحة مثل: (العسقلاني، ج٢، ١٩٩٢، ٢٤٧) [(٢)]

(٦)- مكانته العلمية، وثناء العلماء عليه:

لقد بلغ الإمام النسفي مكانة علمية رفيعة؛ وذلك بجده واجتهاده ومثابرته في تحصيل شتى العلوم والمعارف، إضافة إلى ما وهبه الله تعالى من تقوى وزهد وورع، وهذا واضح في مؤلفاته، التي تدل على علو مكانته العلمية؛ فاشتهر في عصره وبعد عصره، وأثنى العلماء عليه في كل زمان، **فعلى سبيل المثال:**

١- قال اللكنوي (د. ت، ١٠٢): "كان إمامًا كاملاً عديم النظير في زمانه، رأسًا في الفقه والأصول، بارعًا في الحديث ومعانيه،. .. وكل تصانيفه نافعة معتبرة عند الفقهاء، مطروحة لأنظار العلماء. .. وهو إمام كامل فاضل محرر مدقق"

٢- قال عنه المراغي (ج٢، ١٩٤٧، ١٠٨): "عبد الله بن أحمد بن محمود النّسفي. .. الفقيه، الحنفي، الأصولي، المفسر، المحدث، المتكلم،. .. كان رحمه الله زاهداً إماماً، كاملاً، عديم النظير في زمانه"

٣- وقال أبو شهبة (١٤٠٨، ١٣٨): "كان إمامًا بارعًا في الفقه والأصول، عالمًا بالتفسير والحديث،. .."

٤- وقال العسقلاني (ج٢، ١٩٩٢، ٢٤٧): "أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي علاّمة الدنيا"

٥- وقال القرشي (ج٢، ١٩٩٣، ٢٩٤): "عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين، أبو البركات، النسفي، أحد الزهاد المتأخرين، صاحب التصانيف المفيدة"

٦- وقال الأدنه وي (١٩٩٧، ٢٦٣): "كان إماماً في جميع العلوم، ومصنفاته في الفقه والأصول أكثر من أن تحصى،. .."

٧- وقال يوسف بديوي في مقدمة تفسير النسفي: "كان مشهوراً بالصلاح، والتقوى، وقد تفرغ للعلم، والدراسة، والبحث، وعرف اللغة العربية والفارسية، ورحل إلى بغداد في نهاية حياته، وذاع صيته في الآفاق". (النسفي، ج١، ١٩٩٨، ٩)

---

(١)القرشي، **(البداية والنهاية)**، مرجع سابق، ج٢، ١١٦.

(٢) العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، **(الإصابة في تمييز الصحابة)** ، مرجع سابق، ج٢، ٢٤٧.

٨- وقال الذهبي (ج١، ٢٠٠٥، ٢٦٠): "أحد الزهاد المتأخرين، والأئمة المعتبرين، .. وكان بصيراً بكتاب الله"

(٧)- عقيدته:

الإمام النسفي ماتريدي العقيدة، وعدّه (الأفغاني، ج١، ١٩٩٨، ٣١٧) من أعيانها، ومشايخها، ومؤيديها، **وهذا صحيح جلي للقرائن التالية:**

- نشأ الإمام النسفي في بلاد ما وراء النهر، بين علماء أغلبهم وماتريدية؛ فكان لذلك الأثر الكبير في انتمائه لهم في العقيدة.
- الغالب في الماتريدية، لاسيما من كان في تلك النواحي- بلاد ما وراء النهر- أنهم أحناف.
- كثرة استشهاده بمؤلفات أبي منصور الماتريدي– إمام الماتريدية المشهور (ت٣٣٣هـ)، وخاصة كتاب "التأويلات".
- تأويله لبعض آيات الصفات أثناء تفسيره لها، وعلى سبيل المثال:
  - يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ **(٢١٠/ البقرة):** أي "أمر الله وبأسه". (النسفي، ١٩٩٨، ١٧٦)
  - ويقول في تفسير قوله تعالى: ﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ **(٦٤/ المائدة):** "ولا يقصد المتكلم به إثبات يد، ولا غل، ولا بسط، حتى إنه يستعمله في ملك يعطي ويمنع بالإشارة من غير استعمال اليد". (النسفي، ١٩٩٨، ٤٥٩)
  - **ويقول في تفسير قوله تعالى: ﴿ كَلَّا ﴾ (١٤٣/ الأعراف):** بلا واسطة ولا كيفية، وروي أنه كان يسمع الكلام من كل جهة، وذكر الشيخ– الماتريدي– في "التأويلات" أن موسى عليه السلام سمع صوتاً دالاً على كلام الله تعالى، وكان اختصاصه باعتبار أنه أسمعه صوتاً تولى تخليقه، من غير أن يكون ذلك الصوت مكتسباً لأحد من الخلق. (النسفي، ١٩٩٨، ٦٠٢)

(٨)- مذهبه:

تابع الإمام النسفي أستاذه الكَرْدَري في موافقة أبي حنيفة في الفقه، وصار إماماً من أئمة المذهب الحنفي، وفقيهاً من فقهائه، **وهذا صحيح جلي للقرائن التالية:**

- أغلب من ترجموا له كانوا من الحنفية، ونسبوه إليها، مثل:

- المولى تقي الدين عبدالقادر المصري الحنفي في كتابه الطبقات السنية في تراجم الحنفية.
- العلامة أبو الحسنات محمد بن عبدالحي اللكنوي في كتابه الفوائد البهية في تراجم الحنفية.
- محي الدين أبي محمد بن محمد بن نصر الله بن سالم بن أبي الوفاء القرشي الحنفي في كتابه الجواهر المُضيَّة في طبقات الحنفية.
- العلامة مصطفى بن عبدالله القسطنطيني الرومي الحنفي، المعروف بالحاجي خليفة في كتابه كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون.

- أغلب مؤلفاته في الفقه الحنفي مثل: الوافي، والكافي، وكنز الدقائق، والمنافع. .. وغيرها.
- شروحاته وتصنيفاته لا تخرج غالباً عن المدرسة الحنفية في الفقه، كما في كنز الدقائق، وهو يتحدث عن الوافي فقال: "... وهو وإن خلا عن العويصات والمعضلات، فقد تحلى بمسائل الفتاوى والواقعات، معلماً بتلك العلامات... فالحاء لأبي حنيفة، والسين لأبي يوسف، والميم لمحمد... والواو لرواية أصحابنا من الحنفية" (النّسفي، د. ت، ١٣٨)

المبحث الثاني: دراسة وتحقيق من الآية الأولى إلى الآية الثلاثين من سورة التوبة

بسم الله الرحمن الرحيم(١)

سورة التوبة مدنية(٢)

"قوله مدنية" أي: بإجماعهم.(٣) قال ابن الجوزي:(٤) "سوى ايتين في آخرها، ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ إلى آخره.(٥) فأنهما نزلتا بمكة.(٦) وقوله: "وهي مائة وتسع وعشرون آية..." إلى آخره. قوله: "كوفي" أي: عند

---

(١) سورة التوبة لا تبدأ بالبسملة، وهكذا نقلته كما هو في المخطوط. ربما يقصد المصنف التسمية لبدء موضوع جديد وليس لبدء السورة نفسها.

(٢) هي السورة الوحيدة في القران الكريم التي لا تبدأ بالبسملة، وسيأتي سبب ذلك. وهي السورة رقم (٩) في القران الكريم. نزلت بعد سورة المائدة، ورد فيها ما صاحب غزوة تبوك من أحداث. نزلت في (أبي سفيان بن حرب، والحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو، وعكرمة بن أبي جهل، وسائر رؤساء قريش الذين نقضوا العهد)، وهم الذين هموا بإخراج الرسول -ﷺ-. وقيل في الثلاثة الذين تخلفوا فيه غزوة تبوك. هي آخر سورة نزلت من القران كما ذكر ذلك البخاري. ينظر: البخاري في صحيحه، (**مرجع سابق**)، ٦/ ٦٤، كتاب: تفسير القران، باب: قوله تعالى: (براءة من الله)، رقم: ٤٦٥٤. الواحدي، (**أسباب النزول، مرجع سابق**)، ١/ ٢٤٦.

(٣) أي إجماع المفسرين. والإجماع: مأخوذ من العزم، وهو اتفاق علماء العصر ومجتهدي الأمة بعد وفاة الرسول -ﷺ- في عصر من العصور على حكم معين. ويعرف اتفاقهم بقولهم، أو قول بعضهم وسكوت الباقين، حتى ينقرض العصر عليه. وهو حجة من حجج الشرع، ودليل من أدلة الأحكام، ومنزلته عند المفسرين كمنزلته عند الفقهاء، فهو يأتي في المرتبة الثالثة بعد القران الكريم والسنة النبوية. ينظر: أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (ت: ٤٧٦هـ)، (**اللمع في أصول الفقة**)، ج١، الناشر: دار الكتب العلمية، (الطبعة الثانية ٢٠٠٣ م - ١٤٢٤ هـ)، ٨٧. القاضي أبو يعلى، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء (ت: ٤٥٨هـ)، (**العدة في أصول الفقة**)، ج١، حققه وعلق عليه وخرج نصه: د أحمد بن علي بن سير المباركي، الأستاذ المشارك في كلية الشريعة بالرياض - جامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية، الناشر: بدون ناشر، (الطبعة: الثانية ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م)، ١٧٠. ابن منظور، (**لسان العرب، مرجع سابق**)، ٨/ ٥٧.

(٤) الشيخ الإمام، العلامة، الواعظ، الحافظ، المفسِّر، المحدث، المؤرخ، شيخ الإسلام عالم العراق، جمال الدين، أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن بن علي بن محمد ابن الجوزي، القرشي، التيمي البكري، البغدادي، الحنبلي، صاحب التصانيف المشهورة في أنواع العلوم من التفسير، والحديث، والفقه، والزهد، والتاريخ، والطب، ولد تقريبا سنة ثمان أو سنة عشر وخمس مائة، ومن تصانيفه: كتاب "المغني" في علوم القرآن كبير جدا، وكتاب "زاد المسير"، توفي يوم الجمعة سنة سبع وتسعين وخمسمائة. ينظر: الذهبي، (**سير أعلام النبلاء، مرجع سابق**)، ٢١/ ٣٦٥. الصفدي، (**الوافي بالوفيات، مرجع سابق**)، ١٨/ ١١٠. السيوطي، (**طبقات الحفاظ، مرجع سابق**)، ١/ ٤٨٠.

(٥) هي قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ سورة التوبة، آية: ١٢٨ –١٢٩.

(٦) ابن الجوزي، (**زاد المسير، مرجع سابق**)، ٢/ ٢٣٠.

الكوفيين. أي: وأربعة آلاف وثمان وسبعون كلمة، وعشرة آلاف وأربعمائة وثمان وثمانون حرفا.(١) ولهذه السورة أسماء عشرة: سورة التوبة، وسورة براءة، وهذان الاسمان مشهوران.(٢) وهي المقشقشة، قاله ابن عمر-رضي الله عنه- سميت بذلك؛ لأنها تقشقش من النفاق أي: تبرئ منه.(٣) / وهي المبعثرة لأنها تبعثر عن أخبار المنافقين وتبحث عنها وتثيرها.(٤) وهي الفاضحة قاله ابن عباس -رضي الله عنهما- لأنها فضحت المنافقين.(٥) وسورة العذاب قاله حذيفة.(٦) وهي المخزية لأن فيها خزى المنافقين. وهي المدمدمة سميت بذلك؛

---

(١) الكوفيون: هم قراء القراءات: عاصم وحمزة والكسائي وخلف. وفي علم العدد هم: عبد الله بن حبيب السلمي وعاصم وحمزة. وقال بعضهم: أنها مائة وثلاثون آية في جميع العدد. ينظر: بن نجّاح، (**مختصر التبيين، مرجع سابق**)، ٣/ ٦٠٨. أبو الحسن النوري الصفاقسي، (**غيث النفع، مرجع سابق**)، ١/ ٢٧٠.

(٢) لا توجد سورة أكثر أسماء من الفاتحة وسورة التوبة، فهما أكثر السور من حيث الأسماء الكثيرة لهما، والمشهور من أسماء هذه السورة: الاسم الأول: سورة (براءة) سميت بها لافتتاحها بالبراءة: ﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ ﴾. ومرجع أكثر ما ذكر فيها إليها؛ لأن أكثر ما ذكر في الآية راجع إلى صدرها. الاسم الثاني: وهو أشهر أسمائها سورة: (التوبة)، لتكرر ذكر التوبة في هذه السورة الكريمة، كقوله تعالى: ﴿ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ سورة التوبة: ٣، وقوله: ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ سورة التوبة، آية: ٥، وقوله: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ﴾ سورة التوبة، آية: ٢٧، وقوله: ﴿ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ سورة التوبة، آية: ٧٤، وقوله﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ سورة التوبة، آية: ١٠٢، وقوله: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﴾ سورة التوبة، آية: ١١٧، وقوله: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ ﴾ سورة التوبة، آية: ١٠٤، وقوله: ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ﴾ سورة التوبة، آية: ١١٢. ولأنه ذكر فيها توبة الثلاثة الذين خلفوا بتبوك. فهذان الاسمان أشهر أسماء هذه السورة. وكانت تسمى مع الأنفال في عهد رسول الله -ﷺ- القرينتين. ينظر: النحاس، (**الناسخ والمنسوخ، مرجع سابق**)، ١/ ٤٧٨. البقاعي، (**تناسب السور، مرجع سابق**)، ٨/ ٣٥٠. ابن العربي، (أحكام القرآن، **مرجع سابق**)، ٢/ ٤٤٤.

(٣) السمعاني، (**مرجع سابق**)، ٢/ ٢٨٤. وأخرجه السيوطي في الدر المنثور، (**مرجع سابق**)،٤/ ١٢١. الخطيب الشربيني، (**المصباح المنير، مرجع سابق**)، ١/ ٥٨٦. والشوكاني، (**فتح القدير، مرجع سابق**)، ٢/ ٣٧٩.

(٤) ينظر: ابن الجوزي، (**زاد المسير، مرجع سابق**)، ٢/ ٢٣٠.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، (**مرجع سابق**)، ٦/ ١٤٧، كتاب: تفسير القران، باب: التوبة، رقم: ٤٨٨٢.

(٦) أخرجه الحاكم في، (**المستدرك، مرجع سابق**)، ٢/ ٣٦١، كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة التوبة، رقم: ٣٢٧٤. وقال: "حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه". وحذيفة هو:=

لأن فيها هلاك المنافقين. وهي المشردة سميت بذلك؛ لأنها شردت جموع المنافقين وفرقتهم. وهي المثيرة سميت بذلك؛ لأنها أثارت مخازي المنافقين وكشفت عن أحوالهم وهتكت أستارهم.(١)

قوله: "وفي ترك التسمية في ابتدائها أقوال" أي: خمسة. وفي القرطبي(٢)ما نصه: " اختلف العلماء في سبب سقوط البسملة في أول هذه السورة على خمسة أقوال: (الأول) أنه قيل: كان من شأن العرب في زمانها في الجاهلية إذا كان بينهم وبين قوم عهد فأرادوا نقضه كتبوا إليهم كتاباً ولم يكتبوا فيه بسملة، فلما نزلت سورة براءة بنقض العهد الذي كان بين النبي -ﷺ- والمشركين بعث بها النبي -ﷺ- علي بن ابي طالب –رضي الله عنه- يقرؤها عليهم في الموسم، ولم يبسمل في ذلك على ما جرت به عادتهم في نقض العهد من ترك التسمية.(٣)

= الصحابي الجليل حذيفة بن حسل ويقال حسيل بن جابر بن عمرو بن ربيعة بن جروة بن الحارث بن مازن بن قطيعة بن عبس العبسي القطيعي، ابن اليمان -رضي الله عنه-، يكنى أبو عبد الله، أمين سر الرسول -ﷺ-، من كبار الصحابة -رضي الله عنهم-، شهد أحد والخندق، وشهد نهاوند، مات سنة ست وثلاثين للهجرة. ابن عبد البر، (**الاستيعاب، مرجع سابق**)، ١/ ٣٣٤. أبو الحسن ابن الأثير الجزري، (**أسد الغابة، مرجع سابق**)، ١/ ٤٨٦.

(١) ابن الجوزي، (**زاد المسير، مرجع سابق**)، ٢/ ٢٣٠. القرطبي، (**الجامع، مرجع سابق**)، ٨/ ٦١. البيضاوي، (أنوار التنزيل، **مرجع سابق**)، ٣/ ٧٠. ابن عادل الحنبلي، (**اللباب، مرجع سابق**)، ١٠/ ٣. نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت: ٨٥٠هـ)، (**غرائب القرآن ورغائب الفرقان**)، ج٣، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، (الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ)، ٤٢٧. قال الزجاج: " وسورة " براءة " كانت تسمى الحافرة، لأنها حفرت عن قلوب المنافقين". الزجاج، (**معاني القران، مرجع سابق**)، ٢/ ٤٣٧. ويتضح من تلك الألقاب والأسماء أنها ظاهرة في بيان فضح المنافقين، والتنكيل بهم وتشريدهم، وبيان مصيرهم ومآلهم.

(٢) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي. فقيه، مفسر، عالم باللغة، وُلد في مدينة قرطبة، وقد رحل بعد سقوطها إلى الإسكندرية، ثم إلى صعيد مصر حيث استقر فيه. كان عالمًا كبيرًا منقطعًا إلى العلم منصرفًا عن الدنيا، ترك ثروة علمية تقدر بثلاثة عشر كتابًا ما بين مطبوع ومخطوط، أبرزها تفسيره الكبير (الجامع لأحكام القرآن الكريم)، وهو تفسير كامل عُني بالمسائل الفقهية إلى جانب العلوم الأخرى، توفي ودفن في صعيد مصر سنة ٦٧١ من الهجرة. ينظر: الذهبي، (**تاريخ الإسلام، مرجع سابق**)، ١٥/ ٢٢٩. السيوطي، (**طبقات المفسرين، مرجع سابق**)، ١/ ٩٢.

(٣) هذا القول هو أضعف الأقوال في سبب ترك البسملة في أول براءة. ذكر ذلك الشيخ المغامسي. ينظر: أبو هاشم صالح بن عوّاد بن صالح المغامسي، (**تأملات قرآنية**)، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، **http://www.islamweb.net**. وخبر إرسال علي -رضي الله عنه- بالموسم، أخرجه البخاري في صحيحه، (**مرجع سابق**)، ٦/٦٤، كتاب: تفسير القران، باب: قوله: (فسيحوا في الأرض)، رقم: ٤٦٥٥.

(القول الثاني) ما رواه النسائي(١) عن ابن عباس-رضي الله عنها- قال: "قلت لعثمان ما حملكم إلى أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني(٢)وإلى براءة وهي من المئين(٣)، فقرنتم بينهما ولم تكتبوا

---

(١) أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي الكبير، القاضي الإمام شيخ الإسلام، ولد بنسا في سنة خمس عشرة ومائتين، أحد الأئمة المبرزين والحفاظ المتقنين، والأعلام المشهورين. طاف البلاد وسمع من ناس في خراسان والعراق والحجاز ومصر والشام والجزيرة وغيرها. كان النسائي أفقه مشايخ مصر في عصره وأعرفهم بالصحيح والسقيم من الآثار وأعرفهم بالرجال. له من الكتب: (السنن الكبرى في الحديث)؛ (المجتبى) وهو السنن الصغرى، توفي سنة ٣٠٣ من الهجرة. ينظر: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، (**المعين في طبقات المحدثين**)، ج١، المحقق: د. همام عبد الرحيم سعيد، الناشر: دار الفرقان - عمان – الأردن، (الطبعة: الأولى، ١٤٠٤)، ١٠٧. ابن حجر العسقلاني، (**التقريب، مرجع سابق**)، ١/ ٨٠.

(٢) المثاني: ما ولي المئين من السور التي هي دون المائة، كأن المئين مباد وهذه مثان. وقد تكون المثاني سور القرآن كلها قصارها وطوالها، ويقال من ذلك قوله جل وعز: {كتابا متشابها مثاني} سورة الزمر: ٢٣. ومنه قوله: {ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم}. سورة الحجر: ٨٧. وإنما سمي القرآن مثاني، لأن الأنباء والقصص تثنى فيه. ويقال المثاني في قوله: {ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم} آيات سورة الفاتحة، سماها مثاني لأنها تثنى في كل صلاة. وسميت آيات القرآن مثاني؛ لأنها تتلو بعضها بعضا، فتثبت الأخيرة على الأولى. ينظر: الفراء، (**معاني القرآن، مرجع سابق**)، ٢/ ٩١. أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، (**غريب القرآن**)، ج١، المحقق: أحمد صقر، الناشر: دار الكتب العلمية (لعلها مصورة عن الطبعة المصرية) السنة: ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م، ٣٥. النحاس، (**معاني القران، مرجع سابق**)، ١/ ٤٨. أبو عمرو الداني، (**البيان في عد آي القران، مرجع سابق**)، ١/ ١٣٧.

(٣) المئين: هي ما ولي السبع الطوال، سميت بمئين لأن كل سور منها تزيد على مائة آية أو تقاربها. ينظر: ابن قتيبة، (**غريب القرآن، مرجع سابق**)، ١/ ٣٥. أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، (**البرهان في علوم القران**)، ج١، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، (الطبعة: الأولى، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م)، ٣٤٤.

سطر بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعتموها في السبع الطوال(١) فما حملكم على ذلك؟ قال عثمان -رضي الله عنه-: "أن رسول الله -ﷺ- كان إذا نزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب عنده فيقول: (ضعوا هذه السورة التي فيها كذا وكذا). وتنزل عليه الآيات فيقول: (ضعوا هذه الآيات في السورة التي [يذكر](٢) فيها كذا وكذا)، وكانت الأنفال من أوائل ما أنزل بالمدينة، وبراءة / من آخر القران [نزولاً].(٣) وكانت قصتها شبيهة بقصتها، وقبض رسول الله -ﷺ- ولم يبين لنا أنها منها، فظننت أنها منها، فمن ثم قرنت بينهما ولم اكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم.(٤) وخرجه أبو عيسى الترمذي وقال: حديث حسن.(٥)

---

(١) السبع الطوال هي: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس وقد روي عن النبي - ﷺ - أنه قال: (أعطيت السبع الطوال مكان التوراة، وأعطيت المئين مكان الزبور، وأعطيت المثاني مكان الإنجيل، وفضلت بالمفصل). أخرجه أحمد في مسنده، ٢٨/ ١٨٨، رقم: ١٦٩٨٢."إسناده حسن". وفي جعل سورة يونس من السبع الطوال وترك سورة الأنفال وبراءة وتأخيرهما، قال السيوطي: " أنه لو أخرهما وقدم يونس، وأتى بعد براءة بهود -كما في مصحف أبي بن كعب- لمراعاة مناسبة السبع الطوال، وإيلاء بعضها بعضًا، لفات مع ما أشرنا إليه أمر آخر آكد في المناسبة، فإن الأَوْلى بسورة يونس أن تولى بالسور الخمس التي بعدها، لما اشتركت فيه من الاشتمال على القصص، ومن الافتتاح بـ {الر}، وبذكر الكتاب، ومن كونها مكيات، ومن تناسب، ما عدا الحجر في المقدار، وبالتسمية باسم نبي، والرعد اسم ملك، وهو مناسب لأسماء الأنبياء". عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، (**أسرار ترتيب القران**)، ج١، الناشر: دار الفضيلة للنشر والتوزيع، ٩١. وينظر: أبو عمرو الداني، (**البيان في عد آي القران، مرجع سابق**)، ١/ ١٣٨. القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (ت: ٥٤٣هـ)، (**أحكام القران، لابن العربي**)، ج٢، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، (الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م)، ٤٤٦..

(٢) ساقط من الأصل، والمثبت من أصل الحديث.

(٣) زائد في الأصل، غير مذكور في أصل الحديث.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه، (**مرجع سابق**)، ٥/ ٢٧٢، كتاب: تفسير القران، باب: سورة التوبة، رقم: ٣٠٨٦. وقال: "حديث حسن صحيح". وأخرجه أبو داوود في سننه، (**مرجع سابق**)، ١/ ٢٠٨، كتاب: الصلاة، باب: من جهر بها، رقم: ٧٨٦. والنسائي في السنن الكبرى، (**مرجع سابق**)، ٧/ ٢٥٣، كتاب: فضائل القران، باب: السورة التي يذكر فيها كذا، رقم: ٧٩٥٣. وصححه الحاكم على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. ينظر: الحاكم النيسابوري، (**المستدرك، مرجع سابق**)، ٢/ ٣٦٠، كتاب: التفسير، رقم: ٣٢٧٢. وذكر ابن العربي أن هذا القول هو الأصح. بعد أن ذكر عدة أقوال واحتمالات في ذلك منها القريب ومنها البعيد، حيث ذكر أن أبعدها قول من قال: أنها مفتتحة بذكر الكفار، لأن هناك سور كثيرة في القران مفتتة بذكر الكفار كقوله تعالى: (الذين كفر) سورة محمد، آية: ١. وقوله:(ويل لكل همزة) سورة الهمزة، آية: ١. ينظر: ابن العربي، (**أحكام القرآن، مرجع سابق**)، ٢/ ٤٤٥.

(٥) مُحَمَّد بن عيسى بن سورة بن مُوسَى بن الضحاك، وقيل: مُحَمَّد بن عيسى بن يزيد بن سورة بن السكن السلمي، أَبُو عيسى التِّرْمِذِيّ، الضرير الحافظ، صاحب "الجامع "وغيره من المصنفات. أحد الأئمة الحفاظ المبرزين، ومن نفع الله بِهِ المسلمين. كان يضرب به المثل في الحفظ والفهم والضبط. ثقة مجمع عليه، مات بترمذ سنة تسع وسبعين ومئتين =

(القول الثالث) ما روي عن عثمان -رضي الله عنه- أيضاً. وقال مالك(١) فيما رواه ابن وهب،(٢) وابن القاسم،(٣) وابن عبد الحكم:(٤) أنه لما سقط أولها

=من الهجرة. ينظر: المزي، (**تهذيب الكمال، مرجع سابق**)، ٢٦/ ٢٥٠. شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، (**ميزان الاعتدال في نقد الرجال**)، ج٣، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، (الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣م)، ٦٧٨. الصفدي، (**الوافي بالوفيات، مرجع سابق**)، ٤/ ٢٠٧.

(١) الإمام مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن عثمان بن جثيل بن عمرو بن الحارث وهو ذو أصبح الأصبحي الحميري الأصبحي، أبو عبد الله، إمام أهل الحرمين، صاحب (الموطأ)، ويسمى أيضا إمام دار الهجرة، من كبار الحفاظ والأعلام، كان ثقة مأمونا ثبتا ورعا فقيها عالما حجة، مات في صفر سنة تسع وسبعين ومائة، وعمره خمس وثمانين سنة. ينظر: البيهقي، (**مناقب الشافعي، مرجع سابق**)، ٢/ ٢٣٧. ابن حجر العسقلاني، (**تهذيب التهذيب، مرجع سابق**)، ١٠/ ٥.

(٢) الإمام عبد الله بن وهب بن مسلم الفهري بالولاء، المصري، أبو محمد، فقيه من الأئمة، من أصحاب مالك بن أنس، ثقة حافظ عابد، جمع بين الفقه والحديث والعبادة، له من التصانيف (الموطأ في الحديث)، و (الجامع)، توفي في مصر سنة ١٩٧ من الهجرة وعمره اثنان وثمانون سنة. ينظر: أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان بن أحمد بن محمد بن أيوب بن أزداذ البغدادي المعروف بـ ابن شاهين (ت: ٣٨٥هـ)، (**تاريخ أسماء الثقات**)، ج١، المحقق: صبحي السامرائي، الناشر: الدار السلفية – الكويت، (الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ – ١٩٨٤)، ١٢٧. أبو يعلى الخليلي، خليل بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن الخليل القزويني (ت: ٤٤٦هـ)، (**الإرشاد في معرفة علماء الحديث**)، ج١، المحقق: د. محمد سعيد عمر إدريس، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض، (الطبعة: الأولى، ١٤٠٩)، ٣٩٩. أبو اسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي (المتوفى: ٤٧٦هـ)، (**طبقات الفقهاء**)، ج١، هذبهُ: محمد بن مكرم ابن منظور، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار الرائد العربي، بيروت – لبنان، (الطبعة: الأولى، ١٩٧٠)، ١٥٠.

(٣) الإمام الفقيه عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة، مولى زبيد بن الحارث العتقى المصري، يكنى أبا عبد الله، صاحب مالك بن أنس، روى عنه، وصحبه عشرين سنه، ولد سنة ثمان وعشرين ومائة، ثقة حسن الضبط متقناً، كان عنده ثلاثمائة مجلد أو نحوها عن مالك، توفي في مصر سنة إحدى وتسعين ومائة من الهجرة. ينظر: ابن عبد البر، (**الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء، مرجع سابق**)، ١/ ٥٠. الشيرازي، (**طبقات الفقهاء، مرجع سابق**)، ١/ ١٥٠. الذهبي، (**سير أعلام النبلاء، مرجع سابق**)، ٩/ ١٢٠.

(٤) الإمام الفقيه عبد الله بن عبد الحكم ابن أعين بن ليث، مفتي الديار المصرية أبو محمد المصري المالكي صاحب مالك، ويقال: إنه من موالي عثمان -رضي الله عنه. ولد سنة خمس وخمسين ومائة. روى عن: مالك، صالحا حافظا صدوق ثقة، وكان أعلم أصحاب مالك، ولابن عبد الحكم سماع من مالك الموطأ، له من المصنفات: (سيرة عمر بن عبد العزيز)، توفي بالقاهرة سنة ٢١٤ من الهجرة. ينظر: أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت: ٥٤٤هـ)، (**ترتيب المدارك وتقريب المسالك**)، ج٣، المحقق: =

سقط بسم الله الحمن الرحيم معه. وروى ذلك عن ابن عجلان(١) أنه بلغه أن سورة براءة كانت تعدل البقرة أو قربها فذهب منها أولها، فلذلك لم يكتب بينهما بسم الله الرحمن الرحيم.(٢)

(القول الرابع) قاله خارجة(٣) وأبو عصمة(٤) وغيرهما، قالوا: لما كتبوا المصحف في خلافة عثمان –رضي الله عنه- اختلف أصحاب رسول الله –ﷺ- فقال بعضهم براءة والأنفال سورة واحدة، وقال بعضهم هما سورتان، فتركت بينهما فرجة لقول من قال هما سورتان، وتركت [البسملة](٥) لقول من قال هما واحدة، فرضي الفريقان معاً وثبتت حجتهما في المصحف.(٦) (القول الخامس) قال عبد الله ابن عباس –رضي الله عنهما-: سألت علي ابن أبي طالب -رضي

=جزء ١: ابن تاويت الطنجي، ١٩٦٥ م، جزء ٢، ٣، ٤: عبد القادر الصحراوي، ١٩٦٦ - ١٩٧٠ م، جزء ٥: محمد بن شريفة، جزء ٦، ٧، ٨: سعيد أحمد أعراب ١٩٨١-١٩٨٣م، الناشر: مطبعة فضالة - المحمدية، المغرب (الطبعة: الأولى)، ٣٦٣. الذهبي، (**سير أعلام النبلاء، مرجع سابق**)، ١٠/ ٢٢٠.

(١) الأمام الصادق الفقيه محمد بن عجلان المدني، أبو عبد الله، ثقة كثير الحديث، عالما فاضلا من خيار أهل المدينة، من أصحاب مالك، روى عنه وعن سفيان الثوري، مات بالمدينة في خلافة أبو جعفر المنصور سنة ١٤٨ من الهجرة. ينظر: ابن حبان، (**الثقات، مرجع سابق**)، ٧/ ٣٨٦. الذهبي، (**سير أعلام النبلاء، مرجع سابق**)، ٦/ ٣١٧.

(٢) ينظر: ابن العربي، (**أحكام القرآن، مرجع سابق**)، ٤٤٥/٢. وزاد قول آخر عن ابن المبرد ذكره الزجاج وهو: "أن براءة سخط، وبسم الله الرحمن الرحيم رحمة، فلا يجمع بينهما". ويقصد بسخط: أن براءة وعيد ونقض عهود، فلذلك لم تفتتح بـ بسم الله الرحمن الرحيم. الزجاج، (**معاني القران، مرجع سابق**)، ٢/ ٤٢٧.

(٣) الفقيه خارجة بن زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لوذان بن عمرو بن عبد بن عوف بن مالك بن النجار الأنصاري، أبو زيد، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة الذين أخذ عنهم الرأي والسنن، تابعي ثقة، سمع أباه وأدرك زمان عثمان بن عفان -رضي الله عنه-، توفي سنة مائة من الهجرة وقيل: تسع وتسعين، وعمره سبعين سنه. ينظر: ابن سعد، (**الطبقات، مرجع سابق**)، ٥/ ٢٦٢. البخاري، (**التاريخ الكبير، مرجع سابق**)، ٣/ ٢٠٤. ابن حيان (**الثقات، مرجع سابق**)، ٤/ ٢١١.

(٤) أبو عصمة هو: الشيخ الإمام الفقيه نوح بن أبي مريم الجامع المروزي، سمي بالجامع؛ لأخذه العلوم من أبي حنيفة، ولجمعة لعدد من العلوم، قاضي مرو، متروك الحديث، وذكر في طبقات المجروحين، روى له ابن ماجة في التفسير، توفي سنة مائة وثلاث وسبعين من الهجرة. ينظر: المزي، (**تهذيب الكمال، مرجع سابق**)، ٣٠/ ٥٧. وابن العماد، (**شذرات الذهب، مرجع سابق**)، ٢/ ٣٣٥.

(٥) لم يختصرها القرطبي وكتبها كاملة (بسم الله الرحمن الرحيم).

(٦) ذكر هذا القول ابن عطية في المحرر الوجيز، (**مرجع سابق**)، ٣/ ٣. دون أن يسنده، وقال: "وهذا القول يضعفه النظر أن يختلف في كتاب الله هكذا..."

الله عنه- لِما لم تكتب في براءة البسملة؟ قال: "لأن البسملة أمان، وبراءة نزلت بالسيف ليس فيها أمان.(١) هذا والصحيح أن التسمية لم تكتب؛ لأن جبريل -عليه السلام- ما نزل بها في هذه السورة. قاله القشيري.(٢) انتهى.(٣)

قوله: "وهي..إلى آخره". أي: الطوال سبع.(٤) وقوله: ﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ ﴾ إلى آخرة. أي: الآيات الآتية التي أُمر علي -رضي الله عنه- بالنداء بها في الموسم براءة، وسيأتي أنها أربعون آية تنتهي إلى قوله: ﴿ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ (٥)

قوله: ﴿ بَرَآءَةٌ ﴾ أي: ذوات براءة، أي: دالة على البراءة، أي: التبري والتباعد من الله ورسوله، أي: انقطاع الوصلة بينهما وبين المشركين، (من) ابتدائية أي:

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، (**مرجع سابق**)، ٢/ ٣٦٠، كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة التوبة، رقم: ٣٢٧٣. قال ابن حجر: "إسناده ضعيف جداً". ينظر: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، (**إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة**)، ج١١، تحقيق: مركز خدمة السنة والسيرة، بإشراف د زهير بن ناصر الناصر، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف (بالمدينة)، الطبعة: (الأولى - ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م)، ٥١٠، رقم: ١٤٥٣٠.

(٢) عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت: ٤٦٥هـ)، (**لطائف الإشارات تفسير القشيري**)، ج٢، المحقق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، (الطبعة: الثالثة)، ٥. والقشيري:
عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري، أبو نصر، واعظ، من علماء نيسابور، من بني قشير، من أئمة المسلمين وعلمائهم، علت له شهرة كأبيه. زار بغداد في طريقة إلى الحج، ووعظ بها، فوقعت بسببه فتنة بين الحنابلة والشافعية، فاستدعاه نظام الملك إلى أصبهان؛ إطفاء للفتنة ببغداد، فذهب إليه ولقي منه إكراما، كان ذكياً حاضر الخاطر، فصيحاً، جريئاً، يحفظ كثيراً من الشعر والحكايات. له (الرسالة القشيرية)، وتفسير القشيري، عاد إلى نيسابور، ولازم الوعظ والتدريس إلى أن توفي بها سنة ٤٦٥. ينظر: الذهبي، (**تاريخ الإسلام، مرجع سابق**)، ١١/ ٢٢١. الصفدي، (**الوافي بالوفيات، مرجع السابق**)، ١٨/ ٢٠٠. ووافق السيوطي في الإتقان على هذا القول، وهو أن التسمية لم تكتب في بدايتها لأن جبريل لم ينزل بها. وقال: "وليحافظ على قراءة البسملة في أول كل سورة غير براءة؛ لأن أكثر العلماء نص على أنها آية فإذا أخل بها القارئ كان تاركاً لبعض الختمة عند الأكثرين، وإذا قرأ من أثناء السورة استحب له ذلك أيضاً". عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، (**الإتقان في علوم القران**)، ج١، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، (الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م)، ٣٦٥.

(٣) القرطبي، (**الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق**)، ٨/ ٦١.

(٤) يقصد بها السبع الطوال. تقدم ذكرها.

(٥) سورة التوبة: آية، ٣٢.

تبرؤ وتباعد / مبتدأ، من الله ورسوله. من المشركين أي: من الوفاء بعهودهم إذا نقضوها.(١)

وفي الخازن: "وأصل البراءة في اللغة: انقطاع العِصْمة،(٢) يقال: برئت من فلان أبرأ براءة، أي: انقطعت بيننا العصمة ولم يبق بيننا علقة. وقيل معناها هنا: التباعد مما تكره مجاورته. انتهى.(٣)

قوله" "أي هذه براءة" أي: هذه الآيات الآتية، إلى آخر ما تقدم لنا قريباً. قوله: "أو مبتدأ) أي: أو براءة مبتدأ وصف بقوله: ﴿ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ ﴾، والخبر ﴿ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم ﴾.(٤)

وقرئ بنصب (براءةً) على تقدير: اسمعوا براءة. (٥)

---

(١) محمد الأمين الهرري، (**حدائق الريحان، مرجع سابق**)، ١١/ ١٢٤. وقرأت (منِ الله) بكسر النون، على أصل التقاء الساكنين، وهي قراءة من القراءات الشاذة، حكاه أبو عمرو عن أهل نجران. والوجه الفتح مع لام التعريف لكثرته. ينظر: ابن جني (**المحتسب، مرجع سابق**)، ١/ ٢٨٣. الزمخشري، (الكشاف مرجع سابق)، ٢٤٢/٢. أبو البقاء العكبري، (**التبيان في إعراب القران، مرجع سابق**)، ٢/ ٦٣٤. ابن خالويه، (**مختصر في شواذ القران، مرجع سابق**)، ١/ ٥٦.

(٢) ينظر: ابن فارس، (**مقاييس اللغة، مرجع سابق**)، ١/ ٣٣٦، (مادة: برأ). ابن منظور، (**مرجع سابق**)، ١٢/ ٤٠٣ – ٤٠٤، (مادة: عصم). والعصمة في كلام العرب: المنع. قال تعالى: ﴿ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ سورة هود، آية: ٤٣. معناه: لا مانع. ينظر: الفراهيدي، (العين، **مرجع سابق**)، ١/ ٣١٣. قال الجصاص: " البراءة هي قطع الموالاة وارتفاع العصمة وزوال الأمان". الجصاص، (**أحكام القرآن، مرجع سابق**)، ٤/ ٢٦٤.

(٣) الخازن، (لباب التأويل، **مرجع سابق**)، ٢/ ٣٣٣.

(٤) ذكر ذلك مكي القيسي وأبو البقاء العكبري، حيث ذكر العكبري وجهاً آخر وهو: أن (براءة) خبر لمبتدأ محذوف؛ أي: هذا براءة أو هذه، و (من الله) وصف له. و (إلى الذين) متعلقة ببراءة كما تقول برئت إليك من كذا. ينظر: مكي القيسي، (**الهداية إلى بلوغ النهاية، مرجع سابق**)، ٤/ ٢٩٠٣. أبو البقاء الكبرى، (**التبيان في إعراب القران، مرجع سابق**)، ٢/ ٦٣٤. وقال النحاس: "وحسن الابتداء بالنكرة لأنها قد وصلت"، أي: موصولة. النحاس، (**إعراب القران، مرجع سابق**)، ٢/ ١٠٨.

(٥) وقراءة النصب من القراءات الشاذة. قرأ بها عيسى بن عمر. ينظر: ابن خالويه، (**مختصر في شواذ القرآن، مرجع سابق**)، ١/ ٥٦.

قوله: "والمعنى أن الله ورسوله قد برئا من العهد..." إلى آخره.(١) قال المفسرون:(٢) "لما خرج رسول الله -ﷺ- إلى تبوك كان المنافقون يرجفون الأراجيف،(٣) وجعل المشركون ينقضون عهوداً كانت بينهم وبين رسول الله -ﷺ- فأمر الله بنقض عهودهم. وذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً ﴾ الآية.(٤) ففعل رسول الله -ﷺ- ما أمر به ونبذ إليهم عهودهم".

قال الزجاج: أي: "قد برئ الله ورسوله من إعطائهم العهود والوفاء بها إذا نكثوا". انتهى.(٥)

قوله: "فسيحوا في الأرض..." إلى آخره. أي: "سيروا فيها حيث شئتم.(٦) وأصل السياحة جريان الماء وانبساطه ثم استعملت في السير على مقتضى

---

(١) في النسفي: "قد برئا من العهد الذي عاهدتم به المشركين وأنه منبوذ إليهم". النسفي، (**مرجع سابق**)، ٢/ ٦٦١.

(٢) ينظر: البغوي، (**معالم التنزيل، مرجع سابق**)، ٢/ ٣١٤. الخازن، (**لباب التأويل، مرجع سابق**)، ٢/ ٣٣٣. البقاعي، (**تناسب السور، مرجع سابق**)، ٨/ ٣٦٢. الخطيب الشربيني، (**المصباح المنير، مرجع سابق**)، ١/ ٥٨٧.

(٣) الأراجيف: مفردها إرجاف. وأرجف في الشيء خاض فيه. وقصد بها الأخبار الكاذبة التي كان يتناقلها المنافقين في المدينة لإثارة القلق والاضطراب بين صفوف المسلمين في وقت الحرب؛ لإثارة الفتنة وتناقص العزيمة. وسموا بالمرجفين. ينظر: الفارابي، (**الصحاح تاج اللغة، مرجع سابق**)، ٤/ ١٣٦٣، (مادة: رجف). ابن منظور، (**لسان العرب، مرجع سابق**)، ٩/ ١١٣، فصل: الراء.

(٤) سورة الأنفال: آية، ٥٨.

(٥) الزجاج، (**معاني القران، مرجع سابق**)، ٢/ ٤٢٨.

(٦) النسفي، (**المدارك، مرجع سابق**)، ١/ ٦٦٢٢. واختلفوا فيمن جُعلت له هذه الأربعة الأشهر على أربعة أقوال ذكرها ابن الجوزي في تفسيره. وقال الطبري في تفسيره: " وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: الأجل الذي جعله الله لأهل العهد من المشركين، وأذن لهم بالسياحة فيه بقوله فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ إنما هو لأهل العهد الذين ظاهروا على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ونقضوا عهدهم قبل انقضاء مدته، فأما الذين لم ينقضوا عهدهم ولم يظاهروا عليه، فإن الله جل ثناؤه أمر نبيه -صلى الله عليه وسلم - بإتمام العهد بينه وبينهم إلى مدته بقوله: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا ﴾ سورة التوبة، آية: ٤. الطبري، (**جامع البيان، مرجع سابق**)، ١٤/ ٩٦ – ١٠٢. ينظر: ابن الجوزي، (**زاد المسير، مرجع سابق**)، ٢/ ٢٣٣.

المشيئة.(١) ففي هذا الأمر من الدلالة على كمال التوسعة والترقية ما ليس في (سيروا) ونظائره. وزيادة في الأرض زيادة في التعميم، والكلام بتقدير القول أي: فقولوا لهم سيحوا. انتهى ألوسي.(٢)قوله: "وكان نزولها" أي: هذه الآية.(٣) وقيل أي: أو هذه السورة.(٤)

قوله: "أمّر رسول الله -ﷺ- أبا بكر-رضي الله عنه- على موسم..."(٥) الموسم زمان الحج، وأمير الموسم أمير الحاج المنصوب من قبل الإمام.

---

(١) ينظر: أبو عبيد الهروي، (**الغريبين، مرجع سابق**)، ١٣/ ٩٦، (مادة: سيح). ابن منظور، (**لسان العرب، مرجع سابق**)، ٢/ ٤٩٣، فصل: السين. ابن حيان، (**القاموس المحيط، مرجع سابق**)، ١/ ٢٢٥، فصل: السين.

(٢) الألوسي، (**روح المعاني، مرجع سابق**)، ٥/ ٢٣٩. "والمعنى من باب الإعلام وليس الأمر، أي: انطلقوا فيها آمنين لا يقع بكم مِنَّا مكروه، آمنين من القتل في هذه المدة". ينظر: ابن الجوزي، (**زاد المسير، مرجع سابق**)، ٢٣٣/٢. فخر الين الرازي، (**مفاتيح الغيب، مرجع سابق**)، ٥٢٤/١٥. ولله حكمة في هذه السياحة في هذه المدة من التفكر والرجوع للحق.

(٣) وهي قوله تعالى: ﴿ فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ﴾ سورة التوبة، آية: ٢.

(٤) يقصد سورة براءة.

(٥) قال النسفي: "وكان نزولها سنة تسع من الهجرة، وفتح مكة سنة ثمان، وكان الأمير فيها عتاب بن أسيد، وأمّر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أبا بكر -رضي الله عنه- على موسم سنة تسع، ثم أتبعه عليا -رضي الله عنه- راكب العضباء ليقرأها على أهل الموسم، فقيل له: لو بعثت بها إلى أبي بكر، فقال: لا يؤدي عني إلا رجل مني. فلما دنا علي -رضي الله عنه- سمع أبو بكر-رضي الله عنه- الرغاء فوقف وقال: "هذا رغاء ناقة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. فلما لحقه قال: "أمير أو مأمور" قال: مأمور. فلما كان قبل التروية خطب أبو بكر -رضي الله عنه- وحثهم على مناسكهم وقام علي -رضي الله عنه- يوم النحر عند جمرة العقبة فقال: "يا أيها الناس إني رسول الله إليكم. فقالوا بماذا؟ فقرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية، ثم قال: "أمرت بأربع أن لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة إلا كل نفس مؤمنة وأن يتم إلى كل ذي عهد عهده". فقالوا عند ذلك: يا علي أبلغ ابن عمك أنا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا...". النسفي، (**مدارك التنزيل، مرجع سابق**)، ١/ ٦٦٢. وأخرج البخاري في صحيحة: "أن أبا هريرة، قال: بعثني أبو بكر في تلك الحجة في مؤذنين يوم النحر، نؤذن بمنى: ألا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان " قال حميد بن عبد الرحمن: ثم أردف رسول الله -صلى الله عليه وسلم- علياً، فأمره أن يؤذن ببراءة، قال أبو هريرة: فأذن معنا علي في أهل منى يوم النحر: "أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان". ١/ ٨٢، كتاب: الصلاة، باب: ما يستر من العورة، رقم:٣٦٩.

وقوله / "الرغاء " بالمد صوت الأبل.(١) قوله: "أمير أو مأمور" أي: أرسلك النبي-ﷺ- لتكون أميراً مكاني، أو لأنك مأمور بأمر آخر.(٢)والتروية: سقي الماء بقدر ما يزيل العطش. ويكون بمعنى التفكر.(٣)ولذا قيل: أنه سُمِّي به اليوم الثامن من ذي الحجة؛ لأنهم كانوا يسقون إبلهم فيه؛ ولأن إبراهيم -عليه السلام- تروى وتفكر فيه في ذبح إسماعيل عليه السلام.(٤)
قوله: "ثلاثين أو أربعين آية" أي: من سورة براءة.(٥)
قوله: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ﴾(٦) يعني: أن هذا الإمهال ليس لعجز عنكم، ولكن لمصلحة ولطف بكم ليتوب تائب. وقيل معناه: فسيحوا في الأرض أربعة أشهر(٧) عالمين أنكم لا تعجزون الله بل هو يعجزكم ويأخذكم لأنكم في

---

(١) الرغاء: صوت الإبل. ينظر: الفراهيدي، (**العين، مرجع سابق**)، ٤/٤٤٤، باب: الغين والراء.
(٢) "اختلفوا في السبب الذي لأجله أمر علياً بقراءة هذه السورة عليهم وتبليغ هذه الرسالة إليهم، حيث أمر ألا يبلغ عنه إلا رجل منه؛ لأنّ العرب عادتها في نقض عهودها أن يتولى ذلك على القبيلة رجل منها، فلو تولاه أبو بكر رضى الله عنه لجاز أن يقولوا: هذا خلاف ما يعرف فينا من نقض العهود، فأزيحت علتهم بتولية ذلك علياً -رضى الله عنه-، ولما خص أبا بكر -رضي الله عنه- بتوليته أمير الموسم، خص علياً بهذا التبليغ تطييباً للقلوب ورعاية للجوانب". الزمخشري، (**الكشاف، مرجع سابق**)، ٢/ ٢٤٤. فخر الدين الرازي، (**مفاتيح الغيب، مرجع سابق**)، ١٥/ ٥٢٤.
(٣) ينظر: أبو الفيض مرتضى الزبيدي، (**تاج العروس، مرجع سابق**)، ٣٨/ ١٩٤، (مادة: روى).
(٤) ينظر: أبو منصور الهروي، (**تهذيب اللغة، مرجع سابق**)، ١٥/ ٢٢٥، باب: الراء والميم. ابن فارس، (**مجمل اللغة، مرجع سابق**)، ١١/ ٤٠٣، باب: الراء والواو. ابن حيان، (**القاموس المحيط، مرجع سابق**)، ١/ ١٢٩٠، فصل: الراء.
(٥) هي قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ سورة التوبة، آية: ٣٢.
(٦) سورة التوبة، آية: ٢.
(٧) عن الزهري: " نزلت في شوال، هي الأربعة أشهر، شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم". أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره، (**تفسير القرآن، مرجع سابق**)، ٦/ ١٧٤٧، رقم: ٩٢٢١. وأخرج الطبري وابن أبي حاتم عن مجاهد والسدي والضحاك: " فسيحوا في الأرض أربعة أشهر وهي الأشهر الحرم المنسلخات المتواليات: عشرون من آخر ذي الحجة إلى عشرة تخلو من شهر ربيع الآخر ثم لا عهد لهم". الطبري، (**جامع البيان، مرجع سابق**)، ١٤/٩٩-١١٠، رقم: ١٦٣٦١. وقال: " وأما الأشهر الأربعة كان ابتداؤها يوم الحج الأكبر، وانقضاؤها انقضاء عشر من ربيع الآخر، فذلك أربعة أشهر متتابعة، جعل لأهل العهد الذين وصفنا أمرهم، فيها، السياحة في الأرض، يذهبون حيث شاءوا، لا يعرض لهم فيها من المسلمين أحد بحرب ولا قتل ولا سلب". ينظر: ابن أبي حاتم في تفسيره، (**مرجع سابق**)، ٦/ ١٧٤٦، رقم: ٩٢٢٠، ٩٢٢١. وقال ابن العربي: "إلا أن =

ملكه وقبضته وتحت قهره وسلطانه. وقيل معناه: إما أمهلكم هذه المدة لأنه لا يخاف الفوت ولا يعجزه شيء.(١)

قوله: "ارتفاعه كارتفاع براءة على الوجهين:(٢) يعني: إما مبتدأ و(من الله) صفته و(إلى الناس) الخبر. وإما (أذان) خبر مبتدأ محذوف. أي: وهذه الآيات، أي: الآتي ذكرها إعلام، والجاران متعلقان به.(٣) وقوله: " يوم الحج الأكبر"(٤)يوم منصوب بما تعلق به الجار في قوله: ﴿ إِلَى ٱلنَّاسِ ﴾ وزعم بعضهم انه منصوب بـ ﴿ وَأَذَانٌ ﴾ وهو فاسد من وجهين: أحدهما: وصف

=الصحيح عندنا أربعة أشهر من يوم النحر كما تقدم، وهو الوقت الذي كان فيه الأذان، وبه وقع الإعلام، وعليه ترتب حل العقد المرتبط إليه، وبناء الأجل المسمى عليه". ابن العربي، (**أحكام القرآن، مرجع سابق**)، ٤٥٥/٢.

(١) الخازن، (**لباب التأويل، مرجع سابق**)، ٢/ ٣٣٥.

(٢) يقصد قوله تعالى: ﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ ﴾ سورة التوبة، آية: ٣. قال النحاس: " (وأذان من الله) عطف على براءة". النحاس، (**إعراب القران مرجع سابق**)، ١٠٩/٢.

(٣) السمين الحلبي، (**الدر المصون، مرجع سابق**)، ٦/٦.

(٤) فيه اختلاف بين العلماء. قال بعضهم أن يوم الحج الأكبر يوم النحر. قاله علي -رضي الله عنه-. وابن أبي أوفى، وسعيد بن جبير، وهو قول ابن عمر -رضي الله عنه. عن ابن عمر- رضي الله عنهما- عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنه وقف بين الجمرتين في الحجة التي حج وذلك يوم النحر فقال: " هذا يوم الحج الأكبر". ومنهم من قال: أنه يوم عرفة. قاله ابن عباس -رضي الله عنه-. عن ابن عباس قال: إن يوم عرفة يوم الحج الأكبر يوم المباهاة، يباهي الله ملائكته في السماء بأهل الأرض يقول تبارك وتعالى: جاءوني شعثا غبرا، آمنوا بي ولم يروني وعزتي لأغفرن لهم، وهو يوم الحج الأكبر". وهو قول عبد الله بن الزبير وطاووس بن كيسان وعطاء بن أبي رباح. أخرجه إبن أبي حاتم في تفسيره، (**تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق**)، ٦/ ١٧٤٧ – ١٧٤٨، رقم: ٩٢٢٦، ٩٢٢٧، ٩٢٣٠. وينظر: الهيثمي، (**مجمع الزوائد، مرجع سابق**)، ٢٦٣/٣، باب: في النحر يوم النحر. وقال آخرون: معنى قوله: (يوم الحج الأكبر)، حين الحج الأكبر ووقته. قال: وذلك أيام الحج كلها، لا يوم بعينه. قال الطبري: " وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصحة، قول من قال: "يوم الحج الأكبر، يوم النحر"، لتظاهر الأخبار عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن علياً نادى بما أرسله به رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من الرسالة إلى المشركين، وتلا عليهم "براءة"، يوم النحر. هذا، مع الأخبار التي ذكرناها عن رسول الله -صلى الله عليه- وسلم أنه قال يوم النحر: أتدرون أي يوم هذا؟ هذا يوم الحج الأكبر". الطبري، (**جامع البيان مرجع سابق**)، ١٤/ ١١٣ – ١٢٧.

المصدر قبل عمله. والثاني: الفصل بينه وبين معموله بأجنبي وهو الخبر.(١)
قوله: "عطف على المنوي في بريء" أي: الضمير المنوي.(٢)
وفي الألوسي: "وقوله سبحانه: (ورَسُولِهِ) عطف على المستكن في بريء، وجوز أن يكون مبتدأ خبره محذوف، وأن يكون عطفاً على محل اسم إن، لكن على قراءة الكسر، لأن المكسورة لما لم تغير المعنى جاز أن تقدر/ كالعدم فيعطف على محل ما عملت فيه. أي: على محل كان له قبل دخولها فإنه كان إذ ذاك مبتدأ. انتهى.(٣)
وقوله: "فلببه الرجل إلى عمر"(٤) في لسان العرب جزء أول صحيفة ٢٢٩ ما نصه: "قيل لبَّبت فلانا إذا جمعت ثيابه عند صدره ونحره ثم جررته. انتهى.(٥)
وقوله: "فهو... إلى آخره"(٦) الضمير عائد على المصدر المفهوم من الفعل، أي: المتاب أو التوب أو التوبة. (خير) أي: أخير وأحسن من بقائكم على الكفر الذي هو خير في زعمكم. أو التفضيل ليس على بابه والمعنى: فهو خير لا شر.(٧)
قوله: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾(٨)
أي: انقضت. وأصله من السلخ بمعنى الكشط، يقال سلخت الأهاب عن الشاة أي: كشطته ونزعته عنها. ويجيء بمعنى الإخراج كما يقال: سلخت الشاة عن الأهاب

---

(١) السمين الحلبي، (**الدر المصون، مرجع سابق**)، ٧/٦.
(٢) قال النسفي عند قوله تعالى: ﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ ﴾ سورة التوبة، آية: ٣ "{ورسوله} عطف على المنوي في بريء، أو على الابتداء، وحذف الخبر، أي: ورسوله بريء". النسفي، (**المدارك، مرجع سابق**)، ٦٦٣/١.
(٣) الألوسي، (**روح المعاني، مرجع سابق**)، ٢٤٢/٥.
(٤) في النسفي: "وحكى أن أعرابياً سمع رجلاً يقرؤها فقال: إن كان الله بريئاً من رسوله، فأنا منه بريء. فلببه الرجل إلى عمر -رضي الله عنه-، فحكى الأعرابي قراءة، فعندها أمر عمر-رضي الله عنه- بتعلم العربية". النسفي، (**المدارك، مرجع سابق**)، ٦٦٣/١.
(٥) ابن منظور، (**لسان العرب، مرجع سابق**)، ١/ ٧٣٤. لم أجده كما نص على صفحته المصنف، ربما أخذه من نسخة أقدم.
(٦) في قوله تعالى: ﴿ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ سورة التوبة، آية: ٣. أي: فإن التوبة خيراً لكم.
(٧) فيه ترغيب في التوبة والإقلاع عن الشرك الموجب لدخول النار. صديق خان، (**فتح البيان، مرجع سابق**)، ٢٣٤/٥.
(٨) سورة التوبة، آية: ٥.

إذا أخرجتها منه.(١) والانسلاخ فيما نحن فيه استعارة حسنة. وتحقيق ذلك: أن الزمان محيط بما فيه من الزمانيات مشتمل عليه اشتمال الجلد على الحيوان، وكذا كل جزء من أجزائه الممتدة كالأيام والشهور والسنين، فإذا مضى فكأنه انسلخ عما فيه. وفي ذلك مزيد لطف لما فيه من التلويح بأن تلك الأشهر كانت حرزاً لأولئك المعاهدين عن غوائل(٢) أيدي المسلمين فنيط قتالهم بزوالها. ومن هنا يُعلم أن جعلها استعارة من المعنى الأول للسلخ أولى من جعله من المعنى الثاني، باعتبار أنه لما انقضى كأنه أُخرج من الأشياء الموجودة، إذ لا يظهر هذا التلويح عليه ظهوره على الأول. (وأل) في (الأشهر) للعهد. والمعهود الأشهر الأربعة المتقدمة في قوله: ﴿ فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ / وهو المروي عن مجاهد وغيره. انتهى الوسي.(٣) [وقد تقدم أنها شوال والثلاثة بعده].(٤)

وفي البيضاوي: "الأشهر الحرم التي أبيح للناكثين أن يسيحوا فيها، وقيل هي: رجب وذو القعدة والحجة والمحرم، وهذا مخل بالنظم مخالف للإجماع، فإنه يقتضي بقاء حرمة الأشهر الحرم إذ ليس فيما نزل بعد ما ينسخها. انتهى.(٥)

قوله: "كل مرصد"(٦) يعنى: على كل طريق. والمرصد: الموضع الذي يُقعد فيه للعدو، من رصدت الشيء أرصده إذا ترقبته.(٧) والمعنى: كونوا لهم رصدا

---

(١) ينظر: زين الدين أبو عبد الله الرازي، (**مختار الصحاح، مرجع سابق**)، ١٥٢/١، (مادة: سلخ). أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ات: ١٠٩٤هـ)، (**الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**)، ج١، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، ٥١٣، فصل: السين.

(٢) الغائلة: الفساد والشر والداهية، والجمع غوائل. ويقال: غالته غولٌ: إذا وقع في هلكه. وغاله الموت: أهلكه. والغول: المنية. ينظر: أبو منصور الهروي، (**تهذيب اللغة، مرجع سابق**)، ٨/ ١٧١، باب: الغين واللام.

(٣) الألوسي، (**روح المعاني، مرجع سابق**)، ٢٤٤/٥ – ٢٤٥.

(٤) هذا الكلام من المصنف يشير فيه إلى أنه قد بين سابقاً ماهي الأشهر الحرم، في حين أنه لم يذكر ذلك. وقد تقدم بيانها في هوامش ص: ١٠.

(٥) البيضاوي، (**أنوار التنزيل، مرجع سابق**)، ٧١/٣. وينظر: ابن العربي، (**أحكام القرآن، مرجع سابق**)، ٤٥٥/٢.

(٦) قال النسفي عند قوله تعالى: ﴿ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ سورة التوبة، آية:٥: "كل ممر ومجتاز ترصدونهم به". النسفي، (**المدارك، مرجع سابق**)، ٦٦٤/١

(٧) ينظر: أبو الفيض مرتضى الزبيدي، (**تاج العروس، مرجع سابق**)، ٩٩/٨، (مادة: رصد).

حتى تأخذوهم من أي وجه توجهوا. وقيل معناه: اقعدوا لهم بطريق مكة حتى لا يدخلوها.(١)
وقوله: "عن الكفر" أي: ورجعوا إلى الإيمان.(٢)
وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٣) يعنى: بأوليائه وأهل طاعته.(٤)
وقال الحسن بن الفضل:(٥) "نسخت هذه الآية(٦) كل آية فيها ذكر الإعراض عن المشركين والصبر على أذى الأعداء".(٧)

---

(١) الخازن، (**لباب التأويل، مرجع سابق**)، ٢/ ٣٣٧. قال الطيبي: "ويحتمل أن يكون "المرصد" مصدرا؛ لأن اسم الزمان والمكان والمصدر من فعله واحد، واقعدوا: في معنى: ارصدوا، ويقرب الظرفية قوله: (حيث وجدتموهم)، فيطابق الظرفية في المكانين". الطيبي، (**حاشية الطيبي، مرجع سابق**)، ٧/ ١٨٠.

(٢) قال النسفي عند قوله تعالى: ﴿ فَإِن تَابُواْ ﴾ سورة التوبة، آية: ٥: "{فإن تابوا} عن الكفر". النسفي، (**مرجع سابق**)، ٦٦٤/١.

(٣) سورة التوبة، آية: ٥.

(٤) الخازن، (**لباب التأويل، مرجع سابق**)، ٣٣٧/٢.

(٥) الحسن بن الفضل بن الحسن بن عمرو بن أمية الضمري، من أهل المدينة، روى عن أبيه، وروى عنه محمد بن إسحاق، مجهول. ينظر: ابن حبان، (**الثقات، مرجع سابق**)، ١٦٠/٦.

(٦) هي قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ سورة التوبة، آية: ٥.

(٧) " للعلماء في هذه الآية ثلاثة أقوال فمنهم من قال: هي منسوخة، وقال لا يحل قتل أسير صبراً وإنما يَمن عليه أو يفادى. وقالوا الناسخ لها قوله تعالى: ﴿ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً ﴾ سورة محمد، آية: ٤. فممن قال هذا الحسن رواه عنه أشعث أنه: " كان يكره قتل الأسير صبراً. وقال: (فإما منا بعد وإما فداء). وهذا قول الضحاك، والسدي قالا: " نسخ ﴿ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ سورة التوبة، آية: ٥. قوله: (فإما منا بعد وإما فداء)" بعد قوله في سورة براءة: "لا أعلم خلافا أنها من آخر ما نزل بالمدينة ولذلك قل المنسوخ فيها". ومن العلماء من قال لا يجوز في الأسارى من المشركين إلا القتل، ولا يجوز أن يؤخذ منهم فداء ولا يمنّ عليهم وجعلوا قوله تعالى: ﴿ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ ناسخاً لقوله تعالى: ﴿ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً ﴾ =

قوله: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ ﴾ إلى آخره.(١) شروع في بيان حكم المتصدين لمبادئ التوبة من سماع كلام الله تعالى، والوقوف على شعائر الدين، إثر بيان حكم التائبين عن الكفر والمصرين عليه، وفيه إزاحة ما عسى يتوهم من قوله سبحانه: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ إذ الحجة قد قامت عليهم، وأن ما ذكره -عليه الصلاة والسلام- قبل من الدلائل والبينات كافي في إزالة عذرهم بطلبهم للدليل لا يلتفت اليه بعد. انتهى ألوسي.(٢)

قوله: ﴿ فَأَجِرْهُ ﴾ أي: أمَّنه. في القاموس: وجار واستجار طلب أن يجار، وأجاره أنقذه وأعاذه. انتهى.(٣) وفي المصباح: واستجارة: طلب منه /أن يحفظه فأجاره. انتهى.(٤)

قوله: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ﴾(٥) شروع في تحقيق [حقّيةِ](٦) ما سبق من البراءة وأحكامها المتفرعة عليها، وتبيين الحكمة الداعية إلى ذلك، والمراد بالمشركين الناكثون؛(٧) لأن البراءة إنما هي

= وهذا قول قتادة ومروي عن مجاهد. والقول الثالث: إن الآيتين جميعاً محكمتان، وهو قول ابن زيد؛ لأن إحداهما لا تنفي الأخرى، قال تعالى: ﴿ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ ﴾ سورة التوبة، آية: ٥. أي: وخذوهم أسرى للقتل أو المَنْ أو الفداء، فيكون الإمام ينظر في أمور الأسارى على ما فيه الصلاح من القتل أو المن أو الفداء. وقد فعل هذا كله رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في حروبه، فقتل عقبة بن أبي معيط، والنضر بن الحارث أسيرين يوم بدر، ومَنّ على قوم، وفَادى بقوم. ينظر: النحاس، (**الناسخ والمنسوخ، مرجع سابق**)، ٤٩٣/١. القرطبي، (**الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق**)، ٨/ ٧٣.

(١) سورة التوبة، آية: ٦.

(٢) الألوسي، (**روح المعاني، مرجع سابق**)، ٢٤٧/٥.

(٣) الفيروز آبادي، (**القاموس المحيط/ مرجع سابق**)، ٣٦٩/١، فصل: الجيم.

(٤) أبو العباس الفيومي، (**المصباح المنير، مرجع سابق**)، ١١٤/١، (مادة: جور).

(٥) سورة التوبة، آية: ٧.

(٦) في الأصل: (حقيقة)، والمثبت من مورده في تفسير أبو السعود، (**إرشاد العقل السليم، مرجع سابق**)، ١/ ٤٤-٤٥.

(٧) نكَثَ العهد يَنْكُثُه نَكْثاً، أي: نقضه بعد إحكامه. أي: المشركين الناقضين للعهد الذي بينهم وبين رسول الله -صلى الله عليه ولم-. ينظر: الفراهيدي، (**العين، مرجع سابق**)، ٣٥١/٥، (مادة: نكث).

في شأنهم. والاستفهام إنكاري،(١) لا بمعنى إنكار الواقع كما في قوله تعالى:﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾ إلى آخره، بل بمعنى إنكار الوقوع، ويكون من الكون التام، و(كيف) في محل النصب على التشبيه بالحال أو الظرف، وقيل: من الكون الناقص، و(كيف) خبر يكون قدم على اسمه وهو عهد لاقتضائه الصدارة، و(للمشركين) متعلق بمحذوف وقع حالا من عهد، ولو كان مؤخراً لكان صفة له أو (بيكون) عند من يجوز عمل الأفعال الناقصة(٢) في الظروف، و(عند) متعلق بمحذوف وقع صفه لعهد أو بنفسه لأنه مصدر. أو (بيكون) كما مر.(٣) ويجوز أن يكون الخبر (للمشركين)، و(عند) كما ذكر، أو متعلق بالاستقرار الذي تعلق به الخبر. ولا يبالي بتقديم معمول الخبر على الاسم لكونه حرف جر. و(كيف) على الوجهين الأخيرين(٤) نصب على التشبيه بالظرف أو الحال كما في صورة الكون التام وهو الأولى؛ لأن في إنكار ثبوت العهد في نفسه من المبالغة ما ليس في إنكار ثبوته للمشركين؛ لأن ثبوته الرابطي فرع ثبوته العيني، فانتفاء الأصل يوجب انتفاء الفرع رأساً. وفي توجيه الإنكار إلى كيفية ثبوت العهد من المبالغة ما ليس في توجيهه إلى ثبوته؛ / لأن كل موجود يجب أن يكون وجوده على حال من الأحوال قطعا. فإذا انتفى جميع أحوال وجوده فقد انتفى وجوده على الطريق البرهاني، أي: على أي حال أو في أي حال يوجد لهم عهد معتد به. انتهى أبو السعود بحروفه.(٥)

---

(١) الاستفهام الإنكاري: هو ما يدل على أن الأمر المستفهم عنه أمر منكر، قد يكون هذا الأمر ينكره العقل أو الشرع أو العرف أو غير ذلك. إذ يخرج الاستفهام عن معنى الطّلب إلى معنى استنكار وقوع ما هو استفهام عنه في الظاهر. ينظر: السكاكي، (**مفتاح العلوم، مرجع سابق**)، ٣٠٨/١-٣١١.

(٢) هي: كان وأخواتها، وهي: أفعال ناسخة تدخل على المبتدأ ويسمى أسمها، وتنصب الخبر ويسمى خبرها، وتسمى ناقصة؛ لأنها لا تكتفي بمرفوعها، بل تطلب منصوبا. ينظر: عبد القادر البغدادي، (**خزانة الأدب، مرجع سابق**)، ٩/ ١٨٧. ولمعرفة عمل هذه الأفعال والاستفادة ينظر: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي محب الدين (ت: ٦١٦هـ)، (**اللباب في علل البناء والإعراب**)، ج١، المحقق: د. عبد الإله النبهان، الناشر: دار الفكر – دمشق، (الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م)، ١٦٥.

(٣) ينظر: أبو القاء العكبري، (**التبيان في إعراب القران، مرجع سابق**)، ٦٣٦/٢. حيث قال: "(عند) على هذين ظرف للعهد، أو ليكون، أو للجار، أو هي وصف للعهد.

(٤) قال ابن عطية: "الآية لفظ استفهام وهو على جهة التعجب والاستبعاد، أي على أي وجه يكون للمشركين عهد وهم قد نقضوا وجاهروا بالتعدي؟". ابن عطية، (**المحرر الوجيز، مرجع سابق**)، ٩/٣.

(٥) أبو السعود، (**إرشاد العقل السليم، مرجع سابق**)، ٤/ ٤٤-٤٥.

قوله: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمۡ ﴾(١) يريد أن الاستثناء منقطع.(٢) وعبارة السمين:(٣) "في هذا الاستثناء وجهان: (أحدهما): أنه منقطع، أي: (لكن الذين عاهدتم) فإن حكمهم كيت وكيت.(٤) والثاني: أنه متصل،(٥) وفيه حينئذ احتمالان: أحدهما: أنه منصوب على أصل الاستثناء من المشركين. والثاني: أنه مجرور على البدل منهم؛ لأن معنى الاستفهام المتقدم نفي، أي: ليس يكون للمشركين عهد إلا للذين لم ينكثوا. فقياس قول أبي البقاء(٦) فيما تقدم أن يكون مرفوعاً بالابتداء، والجملة من قوله: ﴿ فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ ﴾ خبره.

---

(١) سورة التوبة، آية: ٧.

(٢) الاستثناء: أحد قواعد اللغة العربية، وهو ما يخالف اللفظ باستخدام (إلا) أو أحد أخواتها. ومن أنواعه الاستثناء المنقطع: وهو أن يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه. ويسميه بعض النحاة الاستدراك. ينظر: عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب الكردي المالكي (ت: ٦٤٦هـ)، (**أمالي ابن الحاجب**)، ج١، دراسة وتحقيق: د. فخر صالح سليمان قدارة،الناشر: دار عمار - الأردن، دار الجيل – بيروت، (عام النشر: ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م)، ٩٢.

(٣) السمين الحلبي، (**الدر المصون، مرجع سابق**)، ٦/ ١٥.

(٤) كيت وكيت: كلمتان متلازمتان لا تنفصلان تستعملهما العرب كناية عن الأفعال والأحوال، تقول: كان من الأمر كيتَ وكيتَ بالفتح، وكيتٍ وكيتٍ بالكسر. وهذه التاء في الأصل: هاء، مثل: ذيت وذيت، وأصلهما: كيه وذيه. ينظر: أبو منصور الهروي، (**تهذيب اللغة، مرجع سابق**)، ١٠/١٨٢. القاسم بن علي بن محمد بن عثمان، أبو محمد الحريري البصري (ت: ٥١٦هـ)، (**درة الغواص في أوهام الخواص**)، ج١، المحقق: عرفات مطرجي، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، (الطبعة: الأولى، ١٤١٨/١٩٩٨هـ)، ١١٧.

(٥) الاستثناء المتصل: عكس الاستثناء المنقطع: أن يكون المستثنى من جنس المستثنى منه، بـ (إلا) أو بغيرها من أدوات الاستثناء. ينظر: محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (ت: ٦٧٢هـ)، (**شرح الكافية الشافية**)، ج٢، المحقق: عبد المنعم أحمد هريدي، الناشر: جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة، (الطبعة: الأولى)، ٧٠٠.

(٦) هو أبو البقاء العكبري، صاحب: (التبيان في إعراب القران). تقدم. قال: "وفي الخبر ثلاثة أوجه: أحدها: (كيف)، وقدم للاستفهام، وهو مثل قوله: (كيف كان عاقبة مكرهم) [النمل: ٥١]. والثاني: أنه (للمشركين) و (عند) على هذين ظرف للعهد، أو ليكون، أو للجار، أو هي وصف للعهد. والثالث: الخبر (عند الله)، و(للمشركين) تبيين أو متعلق بيكون، وكيف حال من العهد. و(فما استقاموا) : في (ما) وجهان: أحدهما: هي زمانية، وهي المصدرية على التحقيق، والتقدير: فاستقيموا لهم مدة استقامتهم لكم. والثاني: هي شرطية كقوله: (ما يفتح الله) [فاطر: ٢] والمعنى: إن استقاموا لكم فاستقيموا. ولا تكون =

وقوله: ﴿ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ يوم الحديبة. والمراد بالمسجد الحرام: جميع الحرم كما هي عادته في القران إلا ما استثنى.(١) والحديبية: بئر بينه وبين مكة ستة فراسخ.(٢)

فالعندية في قوله: ﴿ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ على حذف مضاف، أي: عند قرب المسجد الحرام.(٣)

وقوله: "كبني كنانة(٤) وبني ضَمرة(٥)" قال ابن عباس –رضي الله عنهما-: "هم قريش". وقال قتادة: "هم أهل مكة الذين حاصرهم رسول الله-ﷺ- يوم الحديبية". وقال السدي ومحمد ابن عباد(٦) ومحمد بن اسحاق: "هم بنو

=نافية؛ لأن المعنى يفسد؛ إذ يصير المعنى استقيموا لهم؛ لأنهم لم يستقيموا لكم. أبو البقاء العكبري، (**التبيان، مرجع سابق**)، ٦٣٦/٢.

(١) سليمان الجمل، (**حاشية الجلالين، مرجع سابق**)، ٢/ ٢٧٩.

(٢) الفرسخ كلمة فارسية تعني: المسافة المعلومة في الأرض، بمعنى التباعد، وسمي فرسخاً؛ لأن صاحبه إذا مشى استراح عنده وجلس كأنه سكن، والفرسخ ثلاثة أميال أو ستة. أي ١٢٠٠خطوة. ينظر: أبو منصور الهروي، (**تهذيب اللغة، مرجع سابق**)، ٧/ ٢٦٩، (مادة: فرسخ). ابن منظور، (**لسان العرب، مرجع سابق**)، ٣/ ٤٤، فصل: الفاء.

(٣) محمد سيد طنطاوي، (**التفسير الوسيط**)، ج٦، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، (الطبعة: الأولى- ١٩٩٧م)، ٢١٤.

(٤) بني كنانة بكسر الكاف وفتح النونين، نسبة إلى كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، قبيلة مضرية عدنانية عظيمة، ينتمي إليها الرسول -صلى الله عليه وسلم-. قال: (إن الله اصطفى بني كنانة من بني إسماعيل، واصطفى من بني كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم). رواه مسلم في صحيحه، ٤/ ١٧٨٢، كتاب الفضائل، رقم: ٢٢٧٦. سكنت جهات مكة. تنقسم إلى عدة بطون منها قريش، وبنو مالك. ينظر: ابن حزم، (**جمهرة أنساب العرب، مرجع سابق**)، ١/ ١٨٠-١٨٨. ابن كثير، (**البداية والنهاية، مرجع سابق**)، ٢٥٢/٢.

(٥) بنو ضمرة قبيلة عربية عدنانية من كنانة، نسبة إلى ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. ومن رجال ضمرة من حظي بشرف صحبة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من أمثال ابو ذر الغفاري -رضي الله عنه-، وعمرو بن امية الضمري. سكنوا الحجاز. ينظر: ابن حزم، (**جمهرة أنساب العرب مرجع سابق**)، ١/ ١٨٥. السمعاني، (**الأنساب، مرجع سابق**)، ٨/ ٣٩٦.

(٦) محمد بن عباد بن الزبرقان، أبو عبد الله المكي، سكن بغداد ومات بها، صاحب سفيان بن عيينة، روى عنه محمد بن إسحاق، والبخاري ومسلم، صدوق، من الطبقة العاشرة، توفي سنة أربع وثلاثين ومائتين من الهجرة. ينظر: ابن سعد، (**الطبقات، مرجع سابق**)، ٧/ ٣٥٨. المزي، (**تهذيب الكمال، مرجع سابق**)، ٢٥/ ٤٣٥-٤٣٦.

خزيمة(١) وبنو مد لج(٢) وبنو الدُئل،(٣) قبائل من بني بكر كانوا دخلوا في عهد قريش وعقدهم يوم الحديبية. وقال مجاهد: "هم أهل العهد من خزاعة".(٤) انتهى.(٥)

قوله: ﴿ لَا يَرۡقُبُواْ فِيكُمۡ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗ﴾(٦) في السمين: "قوله: (إلًّا) مفعول به (بيرقبوا)، وفي (الإل) أقوال /لأهل اللغة (أحدها): أن المراد به العهد، قاله أبو

---

(١) بطن من قريش، من العدنانية، وهم: بنو خزيمة بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة، نسبوا إلى أمهم عائذة بنت الخمس بن قحافة بن خثعم، وهم اربعة نفر: كنانة بن خزيمة، أسد ابن خزيمة، أسدة بن خزيمة، والهون ابن خزيمة. ينظر: أبو عبد الله الزبيري، (**نسب قريش، مرجع سابق**)، ١٠/١. السمعاني، (**الأنساب، مرجع سابق**)، ٩/ ١٦٨.

(٢) بطن من كنانة من قريش، من العدنانية، وهم: بنو مدلج ابن مرة بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار ابن معد بن عدنان. كان منهم من اختص بعلم القيافة، وهو إصابة الفراسة في معرفة الأشياء في الأولاد، والقرابات، ومعرفة الآثار. وكانوا مع خالد بن الوليد سنة ٨ هـ في فتح مكة. ينظر: أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي (ت: ٨٢١هـ)، (**نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**)، ج١، المحقق: إبراهيم الإبياري، الناشر: دار الكتاب اللبنانين، بيروت، (الطبعة: الثانية، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م)، ٤١٦. عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشق (ت: ١٤٠٨هـ)، (**معجم قبائل العرب القديمة والحديثة**)، ج٣، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، (الطبعة: السابعة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤م)، ١٠٦١.

(٣) بنو الدُئِل - بضم الدال المهملة وكسر الهمزة ولام في الآخر، بطن من كنانة بن خزيمة ومن العدنانية، وهم بنو الدئل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. من بلادهم: مجنّة، وهي بلد على أميال من مكة. ينظر: أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (ت: ٧٣٣هـ)، (**نهاية الأرب في فنون الأدب**)، ج٢، الناشر: دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، (الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ)، ٣٥٠. القلقشندي، (**نهاية الأرب، مرجع سابق**)، ١/ ٥٤.

(٤) خزاعة، بضم الخاء المعجمة وفتح الزاي، وواحدهم (الخُزَاعِيّ)، بنو **عَمْرو بن لُحَيّ**، اختلف في نسبها فقيل أنها من **بني مزيقياء بن عامر**، من **الأزد**، وقيل أنها من بني قمعة بن **خندف**، من **مضر**. كانت منازلهم بقرب **الأبواء** وفي وادي غزال ووادي دوران **وعسفان** في **تهامة**. هي من أمهات القبائل في **الجزيرة العربية**، حكمت **مكة المكرمة** في **تهامة** لفترة طويلة من الزمن، كانت ولاية **البيت الحرام** في خزاعة ثلاثمائة سنة. ينظر: أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي (ت: ٨٢١هـ)، (**قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان**)، ج١، المحقق: إبراهيم الإبياري، الناشر: دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، (الطبعة: الثانية، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م)، ٩٨.

(٥) الخازن، (**لباب التأويل، مرجع سابق**)، ٢/ ٣٣٧.

(٦) سورة التوبة، آية: ٨.

عبيدة(١) وابن زيد(٢) والسدي.(٣) (الثاني) أن المراد به القرابة، وبه [قال](٤) الفراء.(٥) (الثالث) أن المراد به الله، أي: هو اسم من أسمائه.(٦) (الرابع) أن (الإِلَّ) الجُؤار، وهو رفع الصوت عند التحالف، وذلك أنهم كانوا إذا تحالفوا

---

(١) ينظر: أبو عبيدة معمر بن المثنى، (**مجاز القران، مرجع سابق**)، ٢٥٣/١. وأبو عبيدة: معمر بن المثنّى التيمي البصري. النحوي اللغوي، ولد أبو عبيدة في البصرة سنة مائة وعشرة، وهو أول من صنّف في غريب الحديث، كان من أجمع الناس للعلم وأعلمهم بأيام العرب وأخبارها، له من المصنفات والتي بلغت المئتين: (مجاز القرآن)، و(إعراب القرآن)، توفي سنة ٢٠٩ من الهجرة، وعمره ثمان وتسعون. ينظر: كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد المعروف بابن الفوطي الشيباني (ت: ٧٢٣ هـ)، (**مجمع الآداب في معجم الألقاب**)، ج٢، المحقق: محمد الكاظم، الناشر: مؤسسة الطباعة والنشر- وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران، (الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ)، ٣٧٧. الذهبي، (**تذكرة الحفاظ، مرجع سابق**)، ٢٧٢/١.

(٢) ينظر: الثعلبي، (**الكشف والبيان، مرجع سابق**)، ١٤/٥. وابن زيد هو: عبد الرَّحْمَن بْن زَيْد بْن أسلم، أبو زيد، من أهل الْمَدِينَة يروي عَن أَبِيهِ. روى عَنْهُ الْعِرَاقِيُّونَ وَأهل الْمَدِينَة، ضعفه النسائي في الضعفاء والمتروكين، صاحب حديث: " أحلت لنا ميتتان، ودمان " يرويه عن أبيه، عن ابن عمر، مَاتَ سنة ثِنْتَيْنِ وَثَمَانِينَ وَمِائَة. ينظر: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (٣٠٣هـ)، (**الضعفاء والمتروكون**)، ج١، المحقق: محمود إبراهيم زايد، الناشر: دار الوعي – حلب، (الطبعة: الأولى، ١٣٩٦هـ)، ٦٦. المزي، (**مرجع سابق**)، ١٧/ ١١٤. الذهبي، (**تاريخ الإسلام، مرجع سابق**)، ٤/ ٩٠٤.

(٣) ينظر: ابن أبي حاتم، (**تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق**)، ١٧٥٩/٦، رقم: ١٠٠٠٨.

(٤) في الأصل: (قالوا)، والمثبت من الدر المصون.

(٥) لم أجده بهذا المعنى في معاني القرآن. وينظر: الفيروزآبادي، (**القاموس المحيط، مرجع سابق**)، ٩٦٢/١، باب الهمزة.

(٦) واستدلوا على ذلك بحديث أبي بكر-رضي الله عنه- لما عُرض عليه كلام مسيلمة - لعنه الله: "إن هذا الكلام لم يخرج من إل" أي: الله عز وجل. ينظر: السمين الحلبي، (**الدر المصون، مرجع سابق**)، ١٨/٦. الفيروزآبادي، (**القاموس المحيط، مرجع سابق**)، ٩٦٢/١. ولم يرتض هذا الزجاج قال: وهذا عندنا ليس بالوجه، لأن أسماء الله -جل وعز- معروفة معلومة كما سمعت في القرآن وتليت في الأخبار قال الله -جل وعز-: (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها). فالداعي يقول: يا الله، يا رحمن، يا رب، يا مؤمن، يا مهيمن. ولم يسمع " يا إل في الدعاء. وحقيقة " الإل " عندي على ما توحيه اللغة: تحديد الشيء فمن ذلك: الأَلَّةُ: الحربة، لأنها محددة، ومن ذلك: أُذُن مُؤَلَّلة، إذا كانت محددة. والإلّ يخرج في جميع ما فسر من العهد والجؤار على هذا، وكذلك القرابة، فإذا قلت في العهد بينهما إل، فمعناه جواز يحاد الإنسان، وإذا قلته في القرابة فتأويله القرابة الدانية التي تحاد الإنسان". الزجاج، (**معاني القران، مرجع سابق**)، ٤٣٣/٢.

جأروا بذلك جُؤاراً.(١) (الخامس) أنه من (آل البرق) لمع.(٢) ويجمع الإلُّ في (القِلّة) على آلَّ. والأصل أألل بزنة أفلس. فأبدلت الهمزة الثانية ألفاً [لسكونها](٣) بعد أخرى مفتوحة، وأدغمت اللام في اللام. وفي الكثرة على إلال كذئب وذئاب. والأل بالفتح قيل شدة القنوط. قال الهروي(٤) في الحديث: "عجب ربكم من إلكم وقنوطكم".(٥) انتهى.(٦)

وفي القاموس: الإل بالكسر العهد والحلف. [والجار](٧) والقرابة [والأصل الجيد](٨) والمعدن والحقد والعداوة والربوبية واسم الله تعالى وكل اسم آخره أل أو أيل فمضاف إلى الله تعالى، [والوحي]،(٩) [والرضا] (١٠)والأمان والجزع عند المصيبة. ومنه ما روي: "عجب ربكم من إلكم"، فيمن رواه بالكسر، ورواية الفتح أكثر. انتهى.(١١)

والجُوأر بضم الجيم وفتح الهمزة والراء المهملة: الصراخ وصوت البقر. انتهى شهاب.(١٢)

قوله: ﴿ وَلَا ذِمَّةً﴾ "عهداً أي: أو حقاً يعاب على إغفاله". انتهى بيضاوي.(١٣)

---

(١) ينظر: ابن دريد الأزدي، (**جمهرة اللغة، مرجع سابق**)، ٢/ ١٠٣٩. ابن منظور، (**لسان العرب، مرجع سابق**)، ١١٢،٤.

(٢) ينظر: ابن عادل الحنبلي، (**اللباب، مرجع سابق**)، ٢٦/١٠.

(٣) في الأصل: (لكونها)، والمثبت من الدر المصون.

(٤) العلامة واللغوي والأديب: أحمد بن محمد بن عبد الرحمن أبو عبيد الهروي الفاشاني الشافعي، وفاشان: قرية من قرى هراة، صاحب كتاب غريبي القرآن والحديث، كان فاضلاً، أخذ علم اللسان عن الأزهري وغيره، تُوفِّي سنة إِحْدَى وَأَرْبَعمِائَة من الهجرة. ينظر: ياقوت الحموي، (**إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، مرجع سابق**)،٢/ ٤٩١. الصفدي، (**الوافي بالوفيات، مرجع سابق**)، ٨/ ٧٦. ابن العماد الحنبلي، (**مرجع سابق**)، ٨/٥.

(٥) أخرجه البغوي في شرح السنة، (**مرجع سابق**)، ١٤/ ٣٦٥، باب: البكاء من خشية الله، رقم: ٤١٦٩. وقال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف، (**مرجع سابق**): "غريب". ٣/ ١٧٥، رقم: ١٠٨٣. وينظر: أبو عبيد الهروي، (**الغريبين، مرجع سابق**)، ٩٣/١.

(٦) السمين الحلبي، (**الدر المصون، مرجع سابق**)، ٦/ ١٧-١٨.

(٧) في الأصل هكذا، (وموضع والجوأر).

(٨) ساقط من الأصل.

(٩) ساقط من الأصل.

(١٠) زائد في الأصل.

(١١) الفيروزآبادي، (**القاموس المحيط، مرجع سابق**)، ١/ ٩٦٢، باب: الام، فصل: الهمزة.

(١٢) شهاب الدين الخفاجي، (**حاشية الشهاب، مرجع سابق**)، ٣٠٣/٤.

(١٣) البيضاوي، (**أنوار التنزيل، مرجع سابق**)، ٣/ ٧٢.

قوله: "كما يوجد ذلك في بعض الكفار" معناه: أن بعض الكفار عندهم مروءة تمنعهم عن الكذب وتردعهم عن النكث، ويحصل منهم التفادي أي: التباعد عنهما.

وفي البيضاوي: "(واكثرهم فاسقون)، متمردون لا عقيدة تزعهم [تكفهم وتمنعهم](١٤) ولا مروءة تردعهم. وتخصيص الأكثر؛ لما في بعض الكفرة من التفادي عن الغدر والتعفف / عما

يجر إلى أحدوثة السواء. انتهى.(١)

قوله: ﴿ ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلٗا ﴾(٢) أي: المتضمنة للأمر بإيفاء العهود والاستقامة في كل أمر، أو جميع آياته، فيدخل فيها ما ذكر دخولاً أوليا. والمراد بالاشتراء الاستبدال. وفي الكلام استعارة تبعية تصريحية، ويتبعها مكنية، حيث شبهت الآيات بالشيء المبتاع.(٣) وقد يكون هناك مجاز مرسل(٤) باستعمال المقيد وهو الاشتراء في المطلق وهو الاستبدال. انتهى ألوسي.(٥)

قوله: "ولا تكرار لأن الأول..." إلى آخره.(٦) في الألوسي. وقوله سبحانه: ﴿لَا يَرۡقُبُونَ ﴾ إلى آخره. نفى عليهم عدم مراعاة حقوق عهد المؤمنين على

---

(١) زائد في الأصل، ربما يكون تفسيراً من المصنف.

(٢) البيضاوي، (**أنوار التنزيل، مرجع سابق**)، ٣/ ٧٢-٧٣.

(٣) سورة التوبة، آية: ٩.

(٤) "وهو اتباع الشهوات والأهواء، لما تركت دين الله وآثرت الكفر، كان ذلك كالشراء والبيع". ابن حيان، (**القاموس المحيط، مرجع سابق**)، ٣٧٨/٥.

(٥) المجاز المرسل: هو مجاز علاقته غير المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي كالسببية والمسببية والجزئية والكلية والحالية والمحلية واعتبار ما كان واعتبار ما سيكون. وهو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح التخاطب لعلاقة ما. ينظر: أبو بكر عبد القاهر الجرجاني، (**التعريفات، مرجع سابق**)، ٢٤٧/١. السكاكي، (**مفتاح العلوم، مرجع سابق**)، ١/ ٣٥٦. محمد علي السَّراج، (**اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل**)، ج١، مراجعة: خير الدين شمسي باشا، الناشر: دار الفكر – دمشق، (الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م)، ٢٥١.

(٦) الألوسي، (**روح المعاني، مرجع سابق**)، ٢٥١/٥.

(٧) يقصد في قوله تعالى: ﴿ لَا يَرۡقُبُونَ فِي مُؤۡمِنٍ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗ﴾ سورة التوبة، آية: ١٠. حيث قال: "ولا تكرار لأن الأول على الخصوص حيث قال فيكم، والثاني على العموم لأنه قال في مؤمن". النسفي، (**مدارك التنزيل، مرجع سابق**)، ٦٦٦/١.

الإطلاق، بخلاف الأول لمكان فيكم فيه، [وفي](٧) مؤمن في هذا، فلا تكرار كما في المدارك.(٨) انتهى.(٩)

قوله: "وهذا اعتراض " أي: قوله: ﴿ وَنُفَصِّلُ ٱلْآيَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾(١٠)اعتراض، أي: جملة معترضة بين (فإن تابوا) إلى آخره، (وإن نكثوا)،(١١) للتأكيد لما اعترضت فيه.

و(يعلمون) منزل منزلة اللازم، أو مفعول له مقدر أي: يعلمون [ما فصلناه].(١)انتهى شهاب.(٢)

قوله: "وهم رؤساء الشرك"(٣)مثل أبي سفيان، والحارث ابن هشام.(٤) وتخصيصهم بالذكر؛ لأن قتلهم أهم، لا لأنه لا يقتل غيرهم.(٥)

---

(١) ساقط من الأصل. والمثبت من روح المعاني للألوسي، ٥/ ٢٥١.

(٢) النسفي، (**مدارك التنزيل وحقائق التأويل، مرجع سابق**)، ١/ ٦٦٦.

(٣) الألوسي، (**روح المعاني، مرجع سابق**)، ٥/ ٢٥١.

(٤) ﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْآيَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ . سورة التوبة، آية: ١١.

(٥) ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَـٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَـٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴾ سورة التوبة، آية: ١٢.

(٦) في الأصل: (ماقلناه)، والمثبت من حاشية الشهاب.

(٧) شهاب الدين الخفاجي، (**حاشية الشهاب، مرجع سابق**)، ٤/ ٢٠٤.

(٨) يقصد قوله تعالى: ﴿ فَقَـٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ﴾ سورة التوبة، آية: ١٢."وهم رؤساء الشرك أو زعماء قريش الذين هموا بإخراج الرسول -صلى الله عليه وسلم-". النسفي، (**مدارك التنزيل، مرجع سابق**)، ٦٦٧/١.

(٩) الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وأمه أسماء بنت مخربة بن جندل بن أبير بن نهشل بن دارم، وأسلم الحارث بن هشام يوم الفتح فلم يزل مقيما بمكة حتى قبض رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وخرج إلى الشام في خلافة أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- فشهد فحل وأجنادين ومات في طاعون عمواس سنة ثماني عشرة في خلافة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-. ينظر: ابن سعد، (**الطبقات، مرجع سابق**)، ٤٤٤/٥. أبو نعيم، (**معرفة الصحابة، مرجع سابق**)، ٢/ ٧٦٢. ابن عبد البر، (**الاستيعاب، مرجع سابق**)، ٣٠١/١. قال القرطبي: هو بعيد، لأن الآية في سورة براءة، وحين نزلت كان الله قد استأصل شأفة قريش ولم يبق منهم إلا مسلم أو مسالم". ينظر: القرطبي، (**الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق**)، ٨٤/٨. وقال ابن عطية: "أصوب ما في هذا أن يقال: إنه لا يعنى بها معين، وإنما دفع الأمر بقتال أئمة الناكثين العهود من الكفرة إلى يوم القيامة دون تعيين". ينظر: ابن عطية، (**المحرر الوجيز، مرجع سابق**)، ١٢/٣..

(١٠) ينظر: أبو السعود، (**إرشاد العقل السليم، مرجع سابق**)، ٧٤/٤.

قوله: "أئمة بهمزتين كوفي".(٦)في السمين: "قوله (أئمة الكفر) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو (وأيمة) بهمزتين ثانيتهما مسهلة بين بين ولا ألف بينهما. والكوفيون وابن ذكوان(٧)عن ابن عامر بتخفيفهما من غير إدخال ألف بينهما. وهشام(٨) كذلك، إلا أنه أدخل بينهما ألفاً، هذا هو المشهور بين القراء السبعة.(١) ونقل الشيخ(٢)عن نافع قارئ أهل المدينة، وابن كثير قارئ أهل مكة، وأبي عمرو بن العلاء رأس النحاة البصريين، أنهم يبدلون الثانية ياء / صريحة، وأنه قد نقل عن نافع المد بينهما أي: بين الهمزة والياء. ووزن أيمة

---

(١) أي: قراءة أهل الكوفة، (عاصم وحمزة والكسائي). بهمزتين مفتوحة ومكسورة، وحققها الباقون، والحجة لمن حقق الهمزتين: أنه جعل الأولى همزة الجمع، والثانية همزة الأصل، وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بتسهيل الهمزة الثانية المكسورة بلا إدخال (أيمة) بهمزة واحدة، وأبو جعفر بالتسهيل مع الإدخال، وقرأ هشام بمدة بين الهمزتين بخلاف عنه، والتحقيق له مع الإدخال وعدمه. ومن قرأ بهمزة واحدة (أيمة)، فالحجة أنه كره الجمع بين همزتين في بينة واحدة، فقلب الثانية ياء بكسرها بعد أن حركها لالتقاء الساكنين. ينظر: ابن خلوية، (**الحجة، مرجع سابق**)، ١٧٤/١. ابن زنجلة، (**حجة القراءات، مرجع سابق**)، ٣١٥/١. أبو حفص النشّار، (**المكرر، مرجع سابق**)، ١٤٨/١.

(٢) هو عبد الله بن أحمد بن بشير بن ذكوان بن عمر بن حسان بن حسنون بن سعد بن غالب القرشي الفهري، المقرئ، قيل أبو الحسن، وقيل أبو عمرو، من رواة ابن عامر، من ولد غالب بن فهر بن مالك، ولد في المحرم يوم عاشوراء سنة ثلاث وسبعين ومائة في أيام الرشيد، ومات ابن ذكوان في سنة اثنتين وأربعين ومائتين في أيام المتوكّل، وله تسع وستون سنة. ينظر: الذهبي، (**معرفة القراء، مرجع سابق**)، ١١٧/١. ابن السّلار، (**طبقات القراء السبعة، مرجع سابق**)، ١٢٧/١.

(٣) المقرئ هشام بن عمار الدمشقي، أبو الوليد، من تلاميذ ابن عامر الدمشقي، صدوق، روى أحاديث عن مالك، وروى عنه البخاري في الصحيحين، توفي سنة ١٤٥هـ. ينظر: العجلي، (**الثقات، مرجع سابق**)، ٣٣٢/٢. أبو يعلى الخليلي، خليل بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن الخليل القزويني (ت: ٤٤٦هـ)، (**الإرشاد في معرفة علماء الحديث**)، ج١، المحقق: د. محمد سعيد عمر إدريس، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض، (الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ)، ٤٤٥. ابن القاصح العذري، (**سراج القارئ المبتدئ، مرجع سابق**)، ١١/١.

(٤) هم القراء الذين تواترت قراءتهم وتلقتها الأمة بالقبول، وهم: نافع، ابن كثير، أبو عمرو، ابن عامر، عاصم، حمزة الزيات، الكسائي. ينظر: أبو عمرو الداني، (**التيسير في القراءات السبع، مرجع سابق**)، ٦/١-٧.

(٥) هو: أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان، الإمام أثير الدين الأندلسي الغرناطي، النّفزي، نسبة إلى نَفْزة قبيلة من البربر، ولد أواخر شوال سنة أربع وخمسين وستمائة، نحويّ عصره ولغويّه ومفسّره ومحدّثه ومقرئه ومؤرخه وأديبه. له من المصنفات: البحر المحيط في التفسير، وتحفة الأريب. توفي سنة ٧٤٥ من الهجرة. ينظر: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ات: ٧٤٨هـ)، (**معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**)، ج١، الناشر: دار الكتب العلمية، (الطبعة: الأولى ١٤١٧ هـ- ١٩٩٧م)، ٣٨٧. الداوودي، (**طبقات المفسرين، مرجع سابق**)، ٢/ ٢٨٧.

أفعله؛ لأنها جمع إمام كحمار وأحمرة، والأصل أممة، فالتقى ميمان، فأريدا إدغامهما، فنقلت حركة الميم الأولى للساكن قبلها، وهو الهمزة الثانية، فأدى ذلك إلى اجتماع همزتين ثانيتهما مكسورة. فالبصريون يوجبون إبدال الثانية ياء، وغيرهم يحقق أو يسهل بين بين، ومن أدخل الألف فللخفة حتى يفرق بين الهمزتين. انتهى.(٣)

قوله: "لا إيمان شامي"(٤) أي: بكسر الهمزة، فإما أن يكون بمعنى الإيمان المرادف للإسلام، أو بمعنى الأمان على أنه مصدر آمنه إيماناً بمعنى أعطاه الأماني. انتهى.(٥)

قوله: ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(٦) تحريض على القتال؛ لأن الاستفهام فيه للإنكار، والاستفهام الإنكاري في معنى النفي وقد دخل النفي، ونفي النفي إثبات، وحيث كان الترك مستقبحاً منكراً أفاد بطريق برهاني أن إيجاده أمر مطلوب مرغوب فيه، فيفيد الحث والتحريض عليه.(١) فالمعنى: قاتلوا قوماً اجتمعت فيهم أسباب ثلاثة، كل منها يقتضي قتالهم، فما بالكم باجتماعها.(٢)

---

(١) السمين الحلبي، (**الدر المصون، مرجع سابق**)، ٦/٢٣-٢٤. بتصرف. وقال أبو البقاء العكبري: " ولا يجوز هنا أن تجعل بين بين كما جعلت همزة أئذا؛ لأن الكسرة هنا منقولة، وهناك أصلية، ولو خففت الهمزة الثانية هنا على القياس لكانت ألفاً لانفتاح ما قبلها، ولكن ترك ذلك لتتحرك بحركة الميم في الأصل". أبو البقاء العكبري، (**التبيان في إعراب القرآن، مرجع سابق**)، ٢/ ٦٣٧-٦٣٨.

(٢) وهي قراءة متواترة لابن عامر الشامي، بمعنى لا إسلام لهم، والبقية بالفتح جمع يمين بمعنى: لا عهود لهم. وعند الجمع بين القراءتين، نجد أن قراءة ابن عامر تقريراً لعلة القتال، وقراءة البقية بالفتح وصفاً لأحوال المشركين حين الأمر بقتالهم. ينظر: أبو الحسن النوري الصفاقسي، (**غيث النفع، مرجع سابق**)، ١/٢٧١. محمد حبش، (**القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني**)، ج١، الناشر: دار الفكر – دمشق، (الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م)، ٣٣٦.

(٣) ينظر: البيضاوي، (**أنوار التنزيل، مرجع سابق**)، ٣/٧٣.

(٤) سورة التوبة، آية: ١٣.

(٥) الألوسي، (**روح المعاني، مرجع سابق**)، ٥/٢٥٥.

(٦) هذه الأسباب كل واحد منها يحمل المؤمنين على قتال المشركين والمجاهدة في ذلك:
السبب الأول: قوله تعالى: ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ ﴾ سورة التوبة، آية: ١٣. أي: نقضوا عهودهم وحنثوا في أيمانهم. السبب الثاني: قوله تعالى: ﴿ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ ﴾. أي: وهموا بإخراج الرسول -صلى الله عليه وسلم- من مكة التي=

قوله: "التي حلفوها في المعاهدة"(٣) أي: لكم، على أن لا يعاونوا عليكم، فعاونوا حلفاءهم بني بكر(٤)على حلفاء رسول الله -ﷺ- خزاعة. والمراد بالقوم قريش.(٥)

وقوله: "من مكة"(٦) أي: التي هي مسقط رأسه -عليه الصلاة والسلام- حين تشاوروا بدار الندوة(٧)، حسبما ذُكر في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ إلى آخره.(٨)

= ولد فيها وعاش بها زمنا طويلا. السبب الثالث: قوله تعالى: ﴿ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾. أي: وهم الذين كانوا بادئين بقتالكم في أول لقاء بينكم وبينهم وهو يوم بدر. ينظر: محمد سيد طنطاوي، **(التفسير الوسيط)**، ج٢، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة
الطبعة: الأولى، ٢٢١.

(١) قال النسفي عند قوله تعالى: ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ سورة التوبة، آية: ١٣" ثم حرض على القتال فقال: {ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم}، التي حلفوها في المعاهدة". النسفي، **(المدارك، مرجع سابق)**، ٦٦٧/١.

(٢) بنو بكر: قبيلة بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمى بن جديلة ابن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، من أشهر قبائل ربيعة في العصر الجاهلي وصدر الإسلام، وتعد من أكبر القبائل عدداً وعدة، أحد طرفي حرب البسوس، خرج معظمها إلى العراق، بعد الإسلام دخل الكثير منهم إلى الإسلام، واشتركوا في كثير من الفتوحات الإسلامية، ومنهم قادة عظماء، وقد وثب بني بكر على خزاعة ليلاً بماء يقال له الوتير، وهو قريب من مكة، وقالت قريش: ما يعلم بنا محمد وهذا الليل وما يرانا من أحد. فأعانوهم عليهم بالكراع والسلاح وقاتلوهم معهم لِلضَّغْنِ على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. ينظر: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، **(السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)**، ج٣، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، ٥٢٦. القسطلاني، **(المواهب اللدنية، مرجع سابق)**، ٣٦٩/١.

(٣) ينظر: الألوسي، **(روح المعاني، مرجع سابق)**، ٥/ ٢٥٥.

(٤) قصد أن قريش تعاونوا على إخراج الرسول -صلى الله عليه وسلم- من مسقط رأسه مكة. لقوله تعالى:
﴿ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ ﴾ سورة التوبة، آية: ١٣

(٥) ينظر: ابن كثير، **(تفسير القران العظيم مرجع سابق)**، ٤٤/٤.

(٦) قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ سورة الأنفال، آية: ٣٠.

وقوله: "أول مرة"(١) يعني: يوم بدر، وذلك أنهم قالوا لا ننصرف حتى نستأصل محمداً وأصحابه. وقيل: أراد به أنهم بدوءا بقتال / خزاعة حلفاء رسول الله-ﷺ-، وقوله: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾ يعني: أتخافونهم أيها المؤمنون فتتركوا قتالهم.(٢)
قوله: ﴿ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ ﴾(٣) يريد بالتعذيب القتل، يعني: يقتلهم الله بأيديكم. (فإن قلت) كيف الجمع بين قوله: ﴿ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ ﴾ وبين قوله: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾(٤)(قلت) المراد بقوله: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ عذاب الاستئصال، يعني: وما كان الله ليستأصلهم بالعذاب جميعاً وأنت فيهم. والمراد بقوله:
﴿ قَٰتِلُوهُمْ ﴾ يعني: الذين نقضوا العهد وبدؤا بالقتال، فأمر الله نبيه -ﷺ- والمؤمنين بقتال من قاتلهم أو نقض عهدهم. والفرق بين العذابين: أن عذاب الاستئصال يتعدى إلى المذنب وغير المذنب، وإلى المخالف والموافق. وعذاب القتل لا يتعدى إلا إلى المذنب المخالف. انتهى خازن.(٥)
قوله: "عيبة..." إلى آخره.(٦) عيبة الرجل موضع سره كما يؤخذ من القاموس.(٧)

---

(١) قصد قوله تعالى: ﴿ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ سورة التوبة، آية: ١٣.
(٢) الخازن، (**لباب التأويل، مرجع سابق**)، ٢٤٠/٢. حيث نقضت قريش الهدنة حين أعانت حلفاءها بني بكر ضد خزاعة حلفاء المسلمين على ماء الوتير قريباً من مكة، فاستنصرت خزاعة بالمسلمين، وبذلك بطلت المعاهدة، وكان ذلك سبباً مباشراً لفتح مكة. ينظر: ابن كثير، (**البداية والنهاية، مرجع سابق**)، ٣١٧/٤.
(٣) قال تعالى: ﴿ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ سورة التوبة، آية: ١٤.
(٤) سورة الأنفال، آية: ٣٣.
(٥) الخازن، (**لباب التأويل، مرجع سابق**)، ٣٤٠/٢.
(٦) قال النسفي عند تفسير قوله تعالى: ﴿ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ سورة التوبة، آية: ١٤" ولما وبخهم الله على ترك القتال، جرد لهم الأمر به بقوله: (قاتلوهم) ووعدهم النصر؛ ليثبت قلوبهم وتصح نياتهم بقوله: (يعذبهم الله بأيديكم) قتلاً، (ويخزهم)أسراً، (وينصركم عليهم) يغلبكم عليهم، (ويشف صدور قوم مؤمنين) طائفة منهم وهم خزاعة، عيبة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-". النسفي، (**مدارك التنزيل، مرجع سابق**)، ١/ ٦٦٨.
(٧) ينظر: الفيروزآبادي، (**القاموس المحيط، مرجع سابق**)، ١/ ١١٨-١١٩.

قوله: "ابتداء كلام"(١) هذا على قراءة الرفع،(٢) وقرأ الأعرج ومن معه (ويتوب) بالنصب على إضمار إن.(٣)على أنه من جملة ما أجيب به الأمر، فإن القتال كما تسبب لتعذيب قوم تسبب لتوبة قوم آخرين. انتهى بيضاوي.(٤)

قوله: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ ﴾ إلى آخره.(٥) خطاب للمؤمنين حين كره بعضهم القتال. وقيل للمنافقين. و(أَمْ) منقطعة [بمعنى بل].(٦) ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على الحسبان. انتهى بيضاوي.(٧)

وفي الشهاب: "و(أَمْ) المنقطعة بمعنى بل، والهمزة والإضراب فيها للانتقال من أمر إلى آخر. وجعل الأول كأنه لم يذكر. والحسبان بكسر الحاء مصدر حسبه بمعنى ظنه، وبضمها مصدر حسب بمعنى عدَّ.(٨) والإضراب هنا عن أمرهم بالقتال إلى توبيخهم / على الجبن. وقوله: "ومعنى الهمزة"(٩) أي: المقدرة مع بل. انتهى.(١٠)

---

(١) قال النسفي عند قوله تعالى: ﴿ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ﴾ سورة التوبة، آية: ١٥" ابتداء كلام وإخبار بأن بعض أهل مكة يتوب عن كفره، وكان ذلك أيضاً، فقد أسلم ناس منهم كأبي سفيان وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو...". النسفي، (**المدارك، مرجع سابق**)، ٦٦٨/١.

(٢) قراءة الجمهور برفع الباء على الاستئناف، (يتوبُ). قال الفراء: " وَيَتُوبُ اللَّه؛ لأن معناهُ لَيْسَ من شروط الجزاء إنّما هو استئناف كقولك للرجل: ايتني أُعطك، وأُحِبُّك بعد". الفراء، (**معاني القرآن، مرجع سابق**)، ٤٢٦/١.

(٣) وقرأ بها أيضاً ابن أبي إسحاق وعيسى الثقفي وأبو عمرو فيما روي عنه (ويتوب) بالنصب، على تقدير: وأن يتوب. قال ابن عطية: " ويتوجه ذلك عندي إذا ذهبت إلى أن التوبة إنما يراد بها هنا أن قتل الكافرين والجهاد في سبيل الله هو توبة لكم أيها المؤمنون وكمال لإيمانكم، فتدخل التوبة على هذا في شرط القتال". ابن عطية، (**المحرر الوجيز، مرجع سابق**)، ١٤/٣. وينظر: أبو البقاء العكبري، (**التبيان، مرجع سابق**)، ٢/ ٦٣٨.

(٤) البيضاوي، (**أنوار التنزيل، مرجع سابق**)، ٣/ ٧٤.

(٥) ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ سورة التوبة، آية: ١٦.

(٦) زائد في الأصل.

(٧) البيضاوي، (**أنوار التنزيل، مرجع سابق**)، ٣/ ٧٤.

(٨) ينظر: الفراهيدي، (**العين مرجع سابق**)، ٥/ ١٦.

(٩) " ومعنى الهمزة فيها، التوبيخ على الحسبان". أي: في: (أم). ينظر: البيضاوي، (**أنوار التنزيل، مرجع سابق**)، ٣/ ٧٤.

(١٠) شهاب الدين الخفاجي، (**حاشية الشهاب، مرجع سابق**)، ٤/ ٣٠٨.

قوله: ﴿ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾(١١) اعلم أن الآيات المتقدمة كانت مرغبة في الجهاد، والمقصود من هذه الآية، مزيد بيان في الترغيب، وفيه مسائل:
(المسالة الأولى) قال الفراء: "قوله: (أم) من الاستفهام الذي يتوسط [في](١) الكلام، ولو أريد به الابتداء لكان [إما](٢) بالألف [أو](٣) بهل".(٤) (المسألة الثانية) قال أبو عبيدة:(٥) "كل شيء أدخلته في شيء ليس منه فهو وليجة،(٦) [وأصله من الولوج، فالداخل الذي يكون في القوم وليس منهم وليجة](٧) فالوليجة فِعليه من ولج كالدخيلة من دخل. قال الواحدي:(٨) " [يقال هو وليجتي وهم وليجتي](٩) للواحد والجمع.(١٠) (المسألة الثالثة) المقصود من الآية بيان

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٦.
(١) ساقط من الأصل.
(٢) ساقط من الأصل.
(٣) ساقط من الأصل.
(٤) الفراء، (**معاني القرآن، مرجع سابق**)، ١/ ٤٢٦.
(٥) معمر بن المثنّى التيمي البصري. النحوي اللغوي، مولى بني تيم، ولد أبو عبيدة في البصرة عام ١١٠ من الهجرة، في نفس الليلة التي توفي فيها الحسن البصري، كان من أجمع الناس للعلم وأعلمهم بأيام العرب وأخبارها، له نحو مائتين من المصنفات منها: مجاز القرآن؛ إعراب القرآن؛ الأمثال؛ في غريب الحديث. توفي سنة تسع ومائتين من الهجرة، وعمره ثمان وتسعون سنة. ينظر: الذهبي، (**تذكرة الحفاظ، مرجع سابق**)، ١/ ٢٧٢. ابن الفوطي، (**مجمع الأدآب، مرجع سابق**)، ٢/ ٣٧٧.
(٦) أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري (ت: ٢٠٩هـ)، (**مجاز القران**)، ج١، المحقق: محمد فواد سزگين، الناشر: مكتبة الخانجى – القاهرة، ٢٥٤.
(٧) لحق من حاشية المخطوط اليسرى. قال الفراهيدي: " الولوج: الدُّخول. والوَليجة: بطانةُ الرَّجُلِ ودِخلتُهُ". الفراهيدي، (**العين، مرجع سابق**)، ٦/ ١٨٢، باب: الجيم والنون.
(٨) علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، أبو الحسن، مفسر، نحوي، لغوي، فقيه شاعر، أصله من ساوه، صنف التفسير الكبير، وسماه البسيط، وأكثر فيه من الإعراب والشواهد واللغة، وصنف الوسيط في التفسير، وهو مختار من البسيط أيضاً، وصنف الوجيز. مات في جمادي الآخرة سنة ثمان وستين وأربعمائة. ينظر: ياقوت الحموي، (**إرشاد الأريب، مرجع سابق**)، ٤/ ١٦٦٠. السيوطي، (**طبقات المفسرين، مرجع سابق**)، ١/ ٧٨.
(٩) هذا ليس من كلام الواحدي ولم أجده فيه. ربما إضافة من المصنف.
(١٠) قوله: " للواحد والجمع". فقط من كلام الواحدي. ينظر: الواحدي، (**التفسير الوسيط، مرجع سابق**)، ٢/ ٤٨٢.

أن المكلف في هذه الواقعة لا يتخلص من العقاب إلا عند حصول أمرين: (الأول) أن يعلم الله الذين جاهدوا منكم، وذكر العلم والمراد منه المعلوم.(١١) والمراد أن يصدر الجهاد عنهم، إلا أنه إنما كان وجود الشيء يلزمه معلوم الوجود عند الله لا جرم، جعل علم الله بوجوده كناية عن وجوده. (الثاني) قوله: ﴿ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾ والمقصود من ذكر هذا الشرط، أن المجاهد قد يجاهد ولا يكون مخلصاً بل يكون منافقاً باطنه خلاف ظاهره، وهو الذي يتخذ الوليجة من دون الله ورسوله والمؤمنين. فبين تعالى أنه لا يتركهم إلا إذا اتَّقى بالجهاد مع الإخلاص خالياً عن النفاق والرياء والتودد إلى الكفار، وإبدال ما يخالف طريقة الدين. والمقصود بيان أنه ليس الغرض من إيجاب القتال نفس القتال فقط بل الغرض أن / يؤتى به انقياداً لأمر الله ولحكمه وتكليفه، ليظهر به بذل النفس والمال في طلب رضوان الله تعالى، فحينئذ يحصل به الانتفاع. انتهى فخر.(١)

(فائدة) قوله: ﴿ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ﴾ إلى آخره.(٢) أي: علم ظهور، وهو حينئذ جواب عما يقال: كيف ينفي علم الله -سبحانه وتعالى- مع أنه متعلق بكل شي كان أولم يكن؟ فالمعنى: ولم يُظهر الله الذين جاهدوا منكم مع الإخلاص، أي: لم يميزهم عن غيرهم ممن جاهد بدون إخلاص.(٣)
قوله: "[معطوف](٤) على جاهدوا..." إلى آخره.(٥) وقيل إن جملة (ولم يتخذوا) في محل نصب على الحال من فاعل جاهدوا أي: جاهدوا حال كونهم

---

(١) قصد بالمعلوم الجهاد. قال الألوسي: " والمراد نفي المعلوم، وهو الجهاد على أبلغ وجه، إذ هو بطريق البرهان". الألوسي، (**روح المعاني، مرجع سابق**)، ٢٥٧/٥.
(١) فخر الدين الرازي، (**مفاتيح الغيب، مرجع سابق**)، ١٦/ ٧-٨.
(٢) ﴿ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ سورة التوبة، آية: ١٦.
(٣) ينظر: الألوسي، (**روح المعاني، مرجع سابق**)، ٢٥٧/٥.
(٤) في الأصل: (معطوفون)، والمثبت من تفسير النسفي.
(٥) قال النسفي عند قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ سورة التوبة، آية: ١٦ " (ولم يتخذوا) معطوف على (جاهدوا)، داخل في حيز الصلة، كأنه قيل: ولما يعلم الله المجاهدين منكم والمخلصين غير المتخذين وليجة من دون الله...". النسفي، (**مدارك التنزيل، مرجع سابق**)، ٦٦٩/١.

غير متخذين وليجة، و(وليجة) مفعول، و(من دون الله) إما مفعول ثان إن كان الاتخاذ بمعنى التصيير، وإما متعلق بالاتخاذ إن كان على بابه. انتهى سمين.(٦)

قوله: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾ إلى آخره آخره.(٧) سبب نزول هذه الآية: أن جماعة من رؤساء قريش أُسروا يوم بدر، منهم العباس بن عبدالمطلب عم رسول الله -ﷺ- فأقبل عليهم نفر من أصحاب رسول الله -ﷺ- يعيرونهم بالشرك، وجعل علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- يوبخ العباس بسبب قتال رسول الله -ﷺ- وقطيعة الرحم، فقال العباس: "مالكم تذكرون مساوئنا وتكتموا محاسننا، فقيل له: وهل لكم محاسن؟ قال نعم، نحن أفضل منكم، نعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة أي: نخدمها، ونسقي الحجيج ونفك العاني- يعني الأسير-".(١) انتهى خازن.(٢)

قوله: "وهو" (٣) أي: قوله: ﴿ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم ﴾ إلى آخره. قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ﴾ الى آخره. أي: المشركون المذكورون، حبطت: بطلت أعمالهم أي: التي عملوها من / أعمال البر وافتخروا بها مثل العمارة والسقاية. إلى آخره.(٤)

---

(١) السمين الحلبي، (**الدر المصون، مرجع سابق**)، ٢٨/٦.

(٢) ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴾ سورة التوبة، آية: ١٧.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ٢، ١٣٨، رقم: ١٠٦١. أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت: ٢١١هـ)، (**تفسير عبد الرزاق**)، تحقيق: د. محمود محمد عبده، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت. وذكره الواحدي، (**أسباب النزول، مرجع سابق**)، ٢٤٦/١، رقم: ٤٩٠. وأخرجه الطبري، (**جامع البيان، مرجع سابق**)، ١٧٠/١٤: رقم: ١٦٥٥٨. وابن أبي حاتم في تفسيره، ١٧٦٨/٦، رقم: ١٠٠٦٥. والأثر ضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة، ١٠/ ٥٩٩، رقم: ٤٩٢٦.

(٤) الخازن، (**لباب التأويل، مرجع سابق**)، ٢/ ٣٤١.

(٥) قال النسفي عند قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴾ سورة التوبة، آية: ١٧ " (شاهدين على أنفسهم بالكفر)، باعترافهم بعبادة الأصنام، وهو حال من الواو في (يعمروا)، والمعنى ما استقام لهم أن يجمعوا بين أمرين متضادين عمارة متعبدات الله مع الكفر بالله وبعبادته ". النسفي، (**المدارك، مرجع سابق**)، ٦٦٩/١.

(٦) ينظر: الخازن، (**لباب التأويل، مرجع سابق**)، ٢/ ٣٤١. وقال ابن الجوزي في معنى الآية: " وفي المراد بالعِمارة قولان: أحدهما: دخوله والجلوس فيه. والثاني البناء له =

وقوله: ﴿ وَفِي ٱلنَّارِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ﴾أي: إن ماتوا على الكفر. وقوله: ﴿ إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾ إلى آخره.(٥) لما ذكر الله -عز وجل- أن الكافر ليس له أن يعمر مساجد الله، بين في هذه الآية من هو المستحق لعمارة المساجد، وهو من آمن بالله، فقال: ﴿ إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ ﴾ إلى آخره.

قوله: "إذ المؤمن قد يخشى المحاذير..." الى آخره.(١) جمع محذور، وهو ما يخافه الإنسان.(٢) وقوله: ﴿ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ ذكره بصيغة التوقع؛ قطعاً لأطماع المشركين في الاهتداء والانتفاع بأعمالهم، وتوبيخاً لهم بالقطع بأنهم مهتدون، فإن هؤلاء مع كمالهم إذا كان اهتداؤهم دائراً بين عسى ولعل فما ظنك بأضدادهم، ومنعاً للمؤمنين أن يغتروا بأحوالهم ويتكلموا عليها. انتهى بيضاوي.(٣)

=وإصلاحه فكلاهما محظور على الكافر. والمراد من قوله تعالى: ما كانَ لِلْمُشْرِكِينَ أي: يجب على المسلمين منعهم من ذلك". ابن الجوزي، (**زاد المسير، مرجع سابق**)، ٢/ ٢٤٢.
وفي هذا دليل على أن أعمال البر لا تقبل من كافر لمانع الكفر بالله والإشراك معه غيره. قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾ سورة النور، آية: ٣٩.

(١) ﴿ إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ سورة التوبة، آية: ١٨.

(٢) قال النسفي عند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ سورة التوبة، آية: ١٨.
" قوله: (ولم يخش إلا الله) تنبيه على الإخلاص، والمراد الخشية في أبواب الدين بألا يختار على رضا الله رضا غيره؛ لتوقع مخوف، إذ المؤمن قد يخشى المحاذير ولا يتمالك ألا يخشاها، وقيل: كانوا يخشون الأصنام ويرجونها فأريد نفي تلك الخشية عنهم". النسفي، (**مدارك التنزيل، مرجع سابق**)، ١/ ٦٧٠.

(٣) ينظر: ابن دريد الأزدي، (**جمهرة اللغة، مرجع سابق**)، ١/ ٥٠٧، (مادة: حذر).

(٤) البيضاوي، (**أنوار التنزيل، مرجع سابق**)، ٣/ ٧٥.

قوله: ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ ﴾ إلى آخره.(٤) استئناف خوطب به المشركون التفاتاً عن الغيبة في قوله: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ ﴾ إلى آخره.(٥)

قوله: "السقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر" في الألوسي: "السقاية والعمارة مصدر سقى وعمر بالتخفيف،(٦) إذ عمّر المشدد يقال في عمر الإنسان لا في العمارة كما يتوهم العوام. وصحت الياء في سقاية؛ لأن بعدها هاء التأنيث. وظاهر الآية تشبيه الفعل بالفاعل، والصفة بالذات، وأنه لا يحسن هنا فلابد من التقدير. (أما في جانب الصفة) أي: أجعلتم أهل السقاية والعمارة كمن آمن. ويؤيده قراءة محمد بن علي الباقر(٧) -رضى الله عنه- وبعض القراء(٨) /أجعلتم سقاة الحاج بضم السين جمع ساق، وعمرة المسجد بفتحتين جمع عامر.(١) (وأما في جانب الذات) أي: أجعلتموها كإيمان من أمن وجهاً ومن جاهد. انتهى بتصرف.(٢)

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٩.

(٢) ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴾ سورة التوبة، آية: ١٧.

(٣) ينظر: ابن حيان، **(القاموس المحيط، مرجع سابق)**، ٣٨٨/٥.

(٤) محمد الباقر: هو محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو جعفر الباقر، قيل له الباقر لأنه تبقر في العلم، أي: توسع فيه، من أعلام السلف الصالح، أحد الأئمة الاثني عشر في اعتقاد الإمامية، وهو والد جعفر الصادق، أخذ عن أبيه، وكان ناسكاً عابداً، له في العلم وتفسير القرآن أراء وأقوال، ولد بالمدينة ودفن بها، توفي في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة ومائة، وقيل في الثالث والعشرين من صفر سنة أربع عشرة، وقيل سبع عشرة، وقيل ثمان عشرة، وعمره ثمان وخمسون سنة. ينظر: ابن خلكان، **(وفيات الأعيان، مرجع سابق)**، ١٧٤/٤. محمد حبش، **(القراءات المتواترة، مرجع سابق)**، ٦٠/١.

(٥) مثل ابن الزبير، وأبو وجزة السعدي، وأبو حيوة. ينظر: ابن حيان، **(البحر المحيط، مرجع سابق)**، ٥/ ٣٨٨.

(٦) حذف الياء وضم السين (سُقاة)، وحذف الألف وفتح العين، جمع (عامر) و (عَمَّرَة) ابن وردان بخلف عنه، وأبو وجزة، وهي قراءة شاذة، وقرأ الباقون بالمصدر، (سقاية وعمارة). ينظر: ابن جني، **(المحتسب، مرجع سابق)**، ١/ ٢٨٦.

(٧) الألوسي، **(روح المعاني، مرجع سابق)**، ٢٦١/٥.

وقوله: "لأنهم وضعوا الفخر والمدح في غير موضعهما"(٣) وذلك لأن الآية في علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- والعباس بن عبد المطلب، وطلحة بن أبي شيبة(٤) افتخروا، فقال طلحة: أنا صاحب البيت بيدي مفاتيحه، وقال العباس: وأنا صاحب السقاية والقيام عليها، وقال علي: ما
أدري ما تقولون، لقد صليت إلى القبلة ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد، فأنزل الله الآية.(٥)

---

(١) قال النسفي عند تفسير قوله تعالى: ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ سورة التوبة، آية: ١٩ " وجعل تسويتهم ظلماً، بعد ظلمهم بالكفر؛ لأنهم وضعوا المدح والفخر في غير موضعهما". النسفي، (**المدارك، مرجع سابق**)، ٦٧٠/١.

(٢) شيبة بن عثمان بن أبي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار القرشي المكي، أسلم يوم فتح مكة وشهد حنيناً، وليس ابن أبي شيبة، وربما كان خطأ من الناسخ، وهو هكذا في مخرجه عند ابن جرير الطبري وكل من ذكر الحديث، مات سنة تسع وخمسين. ينظر: الطبري، (**جامع البيان، مرجع سابق**)، ١٤/ ١٧١. ابن عبد البر، (**الاستيعاب، مرجع سابق**)، ٢/ ٧١٢. أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال الخزرجي الأنصاري الأندلسي (ت: ٥٧٨هـ)، (**غوامض الأسماء المبهمة**)، ج٢، المحقق: د. عز الدين علي السيد: محمد كمال الدين عز الدين، الناشر: عالم الكتب – بيروت، (الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ)، ٧٤٣.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن وهب، ١٤/ ١٧١، رقم: ١٦٥٦٣. قال ابن تيمية - رحمه الله-: " هذا اللفظ لا يعرف في شيء من كتب الحديث المعتمدة، بل دلالات الكذب عليه ظاهرة، منها: أن طلحة بن شيبة لا وجود له، وإنما خادم الكعبة هو شيبة بن عثمان بن أبي طلحة... وأما الحديث فيقال: الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه ولفظه: عن النعمان بن بشير قال: "كنت عند منبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال رجل: ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج. وقال آخر: ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام. وقال آخر: الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتم. فزجرهم عمر-رضي الله عنه- وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يوم الجمعة، ولكن إذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيته فيما اختلفتم فيه". رواه مسلم في صحيحه، ١٤٩٩/٣، بكتاب: الإمارة، باب: فضل الشهادة، رقم: ١٨٧٨. ينظر: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ)، (**منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية**)، ج٥، المحقق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م)، ١٨-١٩. قال الألباني في أحاديث السلسلة الضعيفة والموضوعة، ٥٩٩/١٠، رقم: ٤٩٢٦: "ضعيف". وفي نزول الآية روايات أخرى؛ تراها عند ابن جرير وابن كثير والسيوطي. وأصحها: ما =

وقوله: "العاني" أي: الأسير.(١) قوله: "يبشرهم حمزة"(٢) أي: بالتخفيف. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ إلى آخره.(٣) قال مجاهد: هذه الآية متصلة بما قبلها، أنزلت في قصة العباس وطلحة وامتناعهما من الهجرة.(٤)

=رواه مسلم، ٣/ ١٤٩٩، في كتاب: الإمارة، باب: فضل الشهادة، رقم: ١١١، من حديث النعمان بن بشير الأنصاري، وليس فيه ذكر لعلي -رضي الله عنه- ولا لغيره ممن ذكر معه. الواحدي، (**أسباب النزول، مرجع سابق**)، ١/ ٢٤٧.

(١) ينظر: الفراهيدي، (**العين، مرجع سابق**)، ٢/ ٢٥٢، باب: العين والنون.

(٢) في قوله تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ وَجَنَّٰتٖ لَّهُمۡ فِيهَا نَعِيمٞ مُّقِيمٞ﴾ سورة التوبة، آية: ٢١. قرأها حمزة والكسائي بفتح الياء وإسكان الباء وضم الشين مخففة، وهي لغة تهامة. وقرأ البقية بضم الياء وفتح الباء وكسر الشين مشددة، على وجه التبشير، أي: البشارة، وهي لغة أهل الجاز. وقيل هي لغتان بمعنى واحد، من البشر وهو البشارة أي: الخبر المفرح. ينظر: أبو الحسن الصفاقسي، (مرجع سابق)، ١/ ٢٧٢. وقال ابن خلوية عن التشديد والتخفيف بأنهما " لغتان فصيحتان". ينظر: ابن خلوية، (**الحجة، مرجع سابق**)، ١/ ١٠٩. ومع هذا فقراءة التشديد أفادت المبالغة والتأكيد على البشارة والتكثير للمبشر. وكون المولى -عز وجل- هو المبشر، ففيه اللطافة واللطائف برحمة منه سبحانه. ينظر: الألوسي، (**روح المعاني، مرجع سابق**)، ٥/ ٢٦٣.

(٣) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ سورة التوبة، آية: ٢٣.

(٤) قال الواحدي: " قال الكلبي: لما أمر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالهجرة إلى المدينة، جعل الرجل يقول لأبيه وأخيه وامرأته: إنا قد أمرنا بالهجرة، فمنهم من يسرع إلى ذلك ويعجبه، ومنهم من تتعلق به زوجته وعياله وولده فيقولون: ننشدك الله أن تدعنا إلى غير شيء فتضيعنا فنضيع، فيرق فيجلس معهم ويدع الهجرة فنزلت". الواحدي، (**أسباب النزول، مرجع سابق**)، ١/ ٢٤٨، رقم: ٤٩٦. وينظر: السيوطي، (**لباب النقول، مرجع سابق**)،١/ ١٠٣. وحديث مجاهد قال: " قال: " لما أمروا بالهجرة، قال العباس بن عبد المطلب: أنا أسقي الحاج، وقال طلحة أخو بني عبد الدار: أنا أحجب الكعبة فلا أهاجر، فنزل: {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء}". مجاهد بن جبر، (**تفسير مجاهد، مرجع سابق**)، ١/ ٣٦٥. وأخرجه الطبري، (**جامع البيان مرجع سابق**)، ١٤/ ١٧٦، رقم: ١٦٥٦٨. وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره، (**مرجع سابق**)، ٦/ ١٧٧١، رقم: ١٠٠٧٨.

وقال مقاتل: "نزلت في التسعة الذين ارتدوا عن الإسلام ولحقوا بمكة،(٥) فنهى الله المؤمنين عن موالاتهم".(٦) وأنزل الله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ ﴾ يعني: بطانة وأصدقاء تفشون إليهم أسراركم، وتؤثرون المقام معهم على الهجرة. قال بعضهم: حمل هذه الآية على [ترك](٧) الهجرة مشكل؛ لأن هذه السورة نزلت بعد الفتح،(٨) وهي آخر القرآن نزولاً. والأقرب أن يقال: إن الله تعالى لما أمر بالتبري من المشركين قالوا: كيف يمكن أن يقاطع الرجل أباه وأخاه وابنه؟ فذكر الله تعالى أن مقاطعة الرجل أهله وأقاربه في الدين واجبة، فالمؤمن لا يوالي / الكافر وإن كان أباه وأخاه وابنه، وهو قوله تعالى: ﴿ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِ﴾.(١) وقوله: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ﴾ أي: ومن يختار المقام معهم على الهجرة والجهاد فقد ظلم نفسه، بمخالفة أمر الله واختيار الكفار على المؤمنين.(٢)

---

(١) ذكر الماوردي أنهم ستة وهم: ١ـ عبد الله بن سعد أبي سرح، كان من كُتّاب الوحي، فكان يغير ما أمرَه الرسول بكتابتِه ثم ارتدَّ ولحِق بقريش. ٢ ـ عبد الله بن أخطل، كانت له جاريتان تُغنيان بسبِّ الرسول صلّى الله عليه وسلم .٣ ـ الحُويرث بن نُفيل، كان يؤذِي الرسول -صلى الله عليه وسلم- .٤ـ مقيس بن حبابة كان بعض الأنصار قتل أخاه خطأ فأخذ ديته ثم اغتال القاتِل وعاد إلى مكّة مرتدًّا. ٥ ـ سارة مولاة لبعض بني عبد المطلب كانت تسبُّ وتؤذي. ٦ ـ عكرمة بن أبي جهل، كان يكثر التأليب على الرسول، طلبًا لثأر أبيه. ينظر: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، **(الأحكام السلطانية)**، ج١، الناشر: دار الحديث – القاهرة، ٢٠٩.

(٢) مقاتل بن سليمان، **(تفسير مقاتل، مرجع سابق)**، ٢/ ١٦٤. وذكر ابن الجوزي في زاد المسير، ٢٢٤/٢. خمسة أقوال في سبب نزول الآية، منها ما ذكر، فليراجع.

(٣) ساقط من الأصل، والمثبت من تفسير الخازن، ٢/ ٣٤٤.

(٤) فتح مكة.

(٥) سورة التوبة، آية: ٢.

(٦) الخازن، **(لباب التأويل، مرجع سابق)**، ٢/ ٣٤٤. إلا أن الإحسان لهم بالهبة والصلة مستثنى من ذلك؛ لحديث أسماء؛ قالت: "يا رسول الله؛ إن أمي قدمت علي راغبة وهي مشركة أفأصلها؟ قال: (صلي أمك). والحديث أخرجه البخاري في كتاب الهبة وفضلها، رقم: ٢٤٢٧. ومسلم في كتاب الزكاة، رقم: ١٤٢٠. وتمام ذلك قوله: ﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴾ سورة الممتحنة، آية: ٨. وهذه الآية أصل في معاملة غير المسلمين المعاهدين. لكن لابد لنا من التفريق بين الإحسان لهم، وبين البراء =

قوله: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ﴾ (٣)خطاب للمؤمنين خاصة وامتنان عليهم بالنصرة على الأعداء، التي يترك لها الغيور أحب الأشياء إليه. والمَواطن: جمع موطن: وهو الموضع الذي يقيم فيه صاحبه.(٤) وأريد بها مواطن الحرب أي: مقاماتها ومواقعها.(٥) والمنع من الصرف لصيغة منتهى الجموع.(٦) واللام موطئة للقسم أي: أقسم والله لقد نصركم الله في مواقع كثيرة. انتهى ألوسي بتصرف.(٧)

وقوله: "واذكروا يوم..." إلى آخره.(١) جعل الظرف معمولاً لمقدر كما ترى، ويصح أن يكون معطوفاً على محل قوله: (في مواطن)، عطف ظرف الزمان من

=والولاء. وهذه قضية مهمة لابد من التنبيه عليها، خاصة للأجيال، الذين فتح الباب لهم على مصرعية لتقليد الغرب وتمجيد حضارتهم والانبهار بها، وأن الصحيح الاستفادة منها دون محبة أو تبعية عمياء. وللمسألة أحكام تطول لابد من الرجوع فيها إلى أهل العلم المختصين ويطول شرحها هنا. ينظر: ابن تيمية، (**مجموع الفتاوي، مرجع سابق**)، ١٨/ ٢٩٩وما بعدها.

(١) سورة التوبة، آية: ٢٥.

(٢) ينظر: الجوهري، (**الصحاح، مرجع سابق**)، ٦/ ٢٢١٥، (مادة: وطن). أبو الفيض مرتضى الزبيدي، (**تاج العروس، مرجع سابق**)، ٣٦/ ٢٦١، (مادة: وطن). والمقصود بها هنا هي الأماكن التي حدثت فيها الحروب بين المسلمين وأعدائهم. محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب (ت: ١٤٠٢هـ)، (**أوضح التفاسير**)، ج١، الناشر: المطبعة المصرية ومكتبتها، (الطبعة: السادسة، رمضان ١٣٨٣هـ - فبراير ١٩٦٤م)، ٢٢٥.

(٣) ينظر: مجد الدين أبو السعادات الجزري، (**النهاية في غريب الحديث، مرجع سابق**)، ٥/ ٢٠٥، (مادة: وطن). ومن هذه المواطن: وقعة بدر وقريظة والنضير والحديبية وفح خيبر ومكة. وغيرها. ينظر:

(٤) ينظر: الفراء، (**معاني القران، مرجع سابق**)، ١/ ٤٢٨. قال: " نصبت المواطن؛ لأن كل جمع كانت فِيهِ ألف قبلها حرفان وبعدها حرفان فهو لا يُجْرَى، مثل صوامع، ومساجد، وقناديل، وتَماثيل، ومحاريب. وهذه الياء بعد الألف لا يعتدّ بِهَا لأنها قد تدخل فيما ليست هي منه، وتَخرج مما هي منه، فلم يعتدّوا بِهَا إذ لَمْ تثبت كما ثبت غيرها. وإنما منعهم من إجرائه أَنَّهُ مثال لَمْ يأت عَلَيْهِ شيء من الأسماء المفردة، وأنه غاية للجِماع إِذَا انتهى الجماع إِلَيْهِ فينبغي لَهُ ألا يجمع. فذلك أيضًا منعه من الانصراف". وذكر الزجاج قولاً لأبي إسحاق في سبب منعها من الصرف أيضاً؛ لأنها لا تدخل عليها الألف والتاء، فلا يقال مواطنات مثلاً. ينظر: الزجاج، (**معاني القرآن، مرجع سابق**)، ٢/ ٤٣٩-٤٤٠.

(٥) الألوسي، (**روح المعاني، مرجع سابق**)، ٥/ ٢٦٦.

(٦) قال النسفي عند تفسير قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ﴾ سورة التوبة، آية: ٢٥" (ويوم) أي: واذكروا يوم حنين...". النسفي، (**مدارك التنزيل، مرجع سابق**)، ١/ ٦٧٢. قال الزجاج: " يروى أنهم كانوا اثنى عشر ألفا في =

غير واسطة (في) على ظرف المكان المجرور بها، ولا غرابة في نسق ظرف زمان على مكانه أو بالعكس،(٢) تقول (سرت أمامك ويوم الجمعة)، إلا أن الأحسن أن يترك العاطف في مثله. انتهى سمين.(٣)
وقوله: "ويوم حنين"(٤) يعني: ونصركم الله في يوم حنين أيضاً. فأعلم الله سبحانه أنه هو الذي يتولى نصر المؤمنين في كل موقف وموطن، ومن يتولى الله نصره فلا غالب له. وقوله: "واد بين مكة والطائف" بينه وبين مكة بضعة عشر ميلا.(٥)
وقوله: "كوقعة بدر..." إلى آخره. بدر مكان.(٦) وقوله: "وقريظة والنضير(٧) ليسا مكانين فيحتاج بالنسبة إليهما / لتقدير كما لا يخفى.

=ذلك اليوم، وقال بعضهم: كانوا عشرة آلاف فأعجبوا بكثرتهم، فجعل الله عقوبتهم على إعجابهم بالكثرة - وقولهم: " لن نغلب اليوم من قلة" بأن رعبهم حتى ولوا مدبرين، فلم يبق مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا العباس بن عبد المطلب وأبو سفيان بن حرب، ثم أنزل الله عليهم السكينة حتى عادوا وظفروا فأراهم الله في ذلك اليوم من آياته ما زادهم تبيينا بنبوة النبي - صلى الله عليه وسلم -. روى ذلك عطاء عن ابن عباس-رضي الله عنهما-. الزجاج، (**معاني القران، مرجع سابق**)، ٢/ ٤٤٠. وينظر: ابن الجوزي، (**زاد المسير، مرجع سابق**)، ٢/ ٢٤٦.

(١) وجوّز ذلك الزمخشري، قال: " فإن قلت: كيف عطف الزمان والمكان وهو يَوْمَ حُنَيْنٍ على المواطن؟ - والمراد بالمواطن الأوقات- قلت: معناه: وموطن يوم حنين. أو في أيام مواطن كثيرة، ويوم حنين". الزمخشري، (**الكشاف، مرجع سابق**)، ٢/ ٢٥٩.

(٢) السمين الحلبي، (**الدر المصون، مرجع سابق**)، ٦/ ٥٣.

(٣) وهو اسم اليوم الذي وقعت في الوقعة، بين مكة والطائف، يبعد عن مكة المكرمة سبعة وعشرون كيلو متر. وهو يوم قاتل فيه النبي عليه السلام، هَوَازِن وثقيفاً، وراقت لهم فيه كثرتهم فاعتمدوا عليها ونسوا التوكل والاعتماد على الله أولاً، فلم تنفعهم شيئاً. وكان النصر فيها للمسلمين بعد صعوبة شديدة. ينظر: مكي القيسي، (**الهداية، مرجع سابق**)، ٢٩٥٨/٤.

(٤) يقصد معنى: حنين. الخازن، (**لباب التأويل، مرجع سابق**)، ٢/ ٣٤٥. وينظر: أبو عبد الله محمد بن عبد الله البكري، (**معجم ما استعجم من أسماء البلاد، مرجع سابق**)، ٤٧١/٢.

(٥) يقصد أن من المواطن التي نصركم الله -سبحانه وتعالى- بها كانت غزوة بدر. تقدم التعريف به. وهو اسم مكان.

(٦) اسم قبيلتين من قبائل اليهود. تقدم التعريف بهما. اجلاهما الرسول -صلى الله عليه وسلم- من المدينة.

وقوله: "وبين هوازن"(١) هم قبيلة حليمة السعدية.(٢) وقوله: "من قلة" (٣)أي: من أجلها، وهذا في حيز النفي. وظاهر هذا القول الافتخار بكثرتهم ونفي الغلبة لانتفاء القلة أي: نحن كثيرون فلا نُغلب. والقائل: "لن نُغلب اليوم من قلة" رجل من الأنصار يقال له سلمه بن سلامة بن [رقيش]،(٤) فساء كلامه رسول الله -ﷺ- ووكلوا إلى كلمة الرجل. وفي رواية: فلم يرضى الله قوله ووكلهم إلى أنفسهم. فلما التقى الجمعان اقتتلوا اقتتالاً شديداً، فانهزم المشركون وخلوا عن الذراري ثم تنادوا يا حماة السواد اذكروا الفضائح، فتراجعوا وانكشف المسلمون. وقال قتادة: "ذُكر لنا أن الطلقاء انجفلوا(٥) يومئذ بالناس، فلما انجفل القوم هربوا. والطلقاء ألفان من غير الأنصار والمهاجرين، وذلك أن رسول الله -ﷺ- خرج يوم حنين لقتال هوازن وثقيف(٦) في إثنى عشر ألفا، عشرة آلاف من

---

(١) هوازن: إحدى القبائل العربية، وهم بنو هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، من ذرية إسماعيل -عليه السلام، استرضع منهم النبي -صلى الله عليه وسلم-، منهم رجالها: الحارث بن يعمر، وشريح بن عامر. ولها بطون كثيرة. ينظر: حمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (ت: ٢٧٩هـ)، **(أنساب الأشراف)**، ج١، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، الناشر: دار الفكر – بيروت، (الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م)، ٩٣.

(٢) مرضعة الرسول -صلى الله عليه وسلم- حليمة بنت أبي ذؤيب عبد الله ابن الحارث بن شجنة بن جابر السعدي البكري الهوازني، من أمهات النبي -صلى الله عليه وسلم- في الرضاع. كانت زوجة الحارث بن عبد العزى السعدي، توفيت سنة: ٨ هـ. ينظر: ابن حجر العسقلاني، **(الإصابة، مرجع سابق)**، ٨/ ٨٧.

(٣) قال النسفي عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ﴾: "واذكروا يوم {حنين} واد بين مكة والطائف، كانت فيه الواقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر ألفاً، وبين هوازن وثقيف وهم أربعة آلاف، فلما التقوا قال رجل من المسلمين: لن نغلب اليوم من قلة، فساءت رسول الله -عليه الصلاة والسلام-". النسفي، **(المدارك، مرجع سابق)**، ٦٧٢/١.

(٤) في أغلب التفاسير: وقش. وهو: سلمة بن سلامة بن وقش بن زغبة الأشهلي الأنصاري، رجل من الأنصار، من بني عبد الأشهل، شهد العقبتين وبدرًا وأحدًا والمشاهد، توفي سنة ٣٤ هـ، وقيل سنة ٤٥ هـ. ينظر: الذهبي، **(سير أعلام النبلاء، مرجع سابق)**، ٢/ ٣٥٥. ابن حجر العسقلاني، **(الإصابة، مرجع سابق)**، ٣/ ١٢٤.

(٥) انجفل: ذهب وأسرع، يقال انجفل الناس إذا ذهبوا وأسرعوا. ينظر: ابن فارس، **(مقاييس، اللغة مرجع سابق)**، ١/ ٤٦٤، (مادة: جفل).

(٦) قبيلة ثقيف، بطن من هوازن من العدنانية، تقيم إلى اليوم في مدينة الطائف. واشتهروا باسم أبيهم فيقال: لهم ثقيف واسمه قيس بن منبه بن بكر بن هوزان، وزعم بعض النسابين أن ثقيفاً من بقايا ثمود، وكان الحجاج إذا سمع ذلك يقول كذبوا، قال الله تعالى: (وثمود فما أبقى) أي: اهلكهم ولا أبقي منهم أحداً، كانت منازلهم بالطائف، وهي مدينة من أرض =

المهاجرين والأنصار، وألفان من الطلقاء: جمع طليق وهو المطلق من أسر ونحوه. وغلب على الذين مَنّ عليهم النبي -ﷺ- بالإطلاق يوم الفتح. انتهى شهاب.(٧)

قوله: "بدل من يوم"(٨) في الكشاف: بدل من يوم حنين، فلو جعلت ناصبه هذا الظاهر لم يصح؛ لأن كثرتهم لم تعجبهم في جميع تلك المواطن ولم يكونوا كثيراً في جميعها، فبقي أن يكون ناصبه

فعلاً خاصاً به إلا إذا نصبت (إذ) بإضمار (اذكر). انتهى.(١)

وفي الألوسي: "وأوجب الزمخشري(٢) كون يوم منصوباً بمضمر، والعطف / من عطف جملة على جملة أي: ونصركم يوم حنين. ولا يصح أن يكون ناصبه نصركم المذكور؛ لأن قوله -سبحانه: ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ بدل من يوم حنين، فيلزم كون زمان الإعجاب بالكثرة ظرف النصرة الواقعة في المواطن الكثيرة؛ لاتحاد الفعل ولتقييد المعطوف بما يقيد به المعطوف عليه وبالعكس. واليوم مقيد بالإعجاب بالكثرة، والعامل منسحب على البدل والمبدل جميعاً، ويلزم من ذلك أن يكون زمان الإعجاب ظرفاً، وقيّد النصرة الواقعة في المواطن الكثيرة وهو باطل؛ إذ لا إعجاب في تلك المواطن. (وأجيب) بأن الفعل في المتعاطفين لا يلزم أن يكون واحد، بحيث لا يكون له تعدد أفراد، كضربت زيداً اليوم وعمراً قبله، وأضربه حين يقوم وحين يقعد، إلى غير ذلك. بل لابد في نحو قولك: زيد وعمرو من اعتبار الأفراد، وإلا لزم قيام العرض الواحد بالشخص بمحلين مختلفين وهو لا يجوز ضرورة، فلا يلزم من تقييده في حق المعطوف

=نجد على مرحلتين من مكة في شرقها وشمالها، وكانت في القديم للعمالقة ثم نزلها ثمود، ومنهم الحجاج بن يوسف الثقفي. ينظر: القلقشندي، (**نهاية الأرب، مرجع سابق**)، ١/ ١٩٨.

(١) شهاب الدين الخفاجي، (**حاشية الشهاب، مرجع سابق**)، ٤/ ٣١٣.

(٢) يقصد (إذ) في قوله تعالى: ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ سورة التوبة، آية: ٢٥.

(٣) الزمخشري، (**الكشاف، مرجع سابق**)، ٢/ ٢٥٩. قال السيوطي: " كلام الزمخشري حسن، وتقديره أن الفعل مقيد بظرف المكان، فإذا جعلنا (إذ) بدلاً من (ويوْم) كان معمولاً له، لأن البدل يحل محل المبدل منه، فيلزم أنه نصرهم إذ أعجبتهم كثرتهم في مواطن كثيرة، والفرض أنَّهم في بعض المواطن لم يكونوا بهذه الصفة، إلا أنه قد ينقدح فإنه تعالى لم يقل في جميع المواطن حتى يلزم ما قاله". عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، (**نواهد الأبكار وشوارد الأفكار حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي**)، ج٣، الناشر: جامعة أم القرى - كلية الدعوة وأصول الدين، المملكة العربية السعودية (٣ رسائل دكتوراة)، عام النشر: ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٥ م، ٤٩٠.

(٤) الزمخشري، (**الكشاف، مرجع سابق**)، ٢/ ٢٥٩.

بقيد تقييده في حق المعطوف عليه بذلك، ولا نسلم أن هذا هو الأصل حتى يفتقر غيره إلى دليل.

وقال بعضهم:(٣) أن ذلك إنما يلزم لو كان المبدل منه في حكم التنحية مع حرف العطف ليؤول إلى (نصركم الله في مواطن كثيرة إذ اعجبتكم)، [وليس كذلك، بل يؤول إلى (نصركم الله في مواطن كثيرة وإذ أعجبتكم)](٤) ولا محذور فيه. وفي كون البدل قيداً للمبدل منه نظر. انتهى.(٥)

قوله: "فَلّهم"(٦) الفل بفتح وتشديد: المنهزم، يقع على الواحد وغيره. انتهى شهاب.(٧)

وقوله: "في مركزه" أي: مقره ومحله الأول. وقوله: "صيتناً" أي: / جوهري الصوت شديدهُ،

وهو بيان لسبب تخصيصه بالأمر.(١)

قوله: ﴿ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا﴾(٢) أي: لم تغني الكثرة عنكم شيئاً من أمر العدو.

وقوله: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ﴾(٣) أي: رحمته التي تسكن بها القلوب وتطمئن اطمئناناً كلياً مستتبعاً للنصر القريب، وإما مطلق السكينة، فقد كانت حاصلة له -ﷺ-. ﴿ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ عطف على رسوله، وإعادة الجار للإيذان بالتفاوت، والمراد بهم الذين انهزموا، وفيه دلالة على أن الكبيرة لا

---

(١) ينظر: السيوطي، (**نواهد الأبكار، مرجع سابق**)، ٣/ ٤٩٠.

(٢) لحق من حاشية المخطوط اليسرى.

(٣) الألوسي، (**روح المعاني، مرجع سابق**)، ٥/ ٢٦٧.

(٤) قال النسفي عند قوله تعالى:﴿ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ﴾ سورة التوبة، آية: ٢٥ " فأدركت المسلمين كلمة الإعجاب بالكثرة وزل عنهم أن الله هو الناصر لا كثرة الجنود، فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة، وبقي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وحده وهو ثابت في مركزه، ليس معه إلا عمه العباس آخذا بلجام دابته، وأبو سفيان بن الحرث ابن عمه آخذا بركابه، فقال للعباس: صح بالناس، وكان صيتناً -أي: ذا صوت عال-، فنادى يا أصحاب الشجرة. فاجتمعوا وهم يقولون لبيك لبيك". النسفي، (**مدارك التنزيل، مرجع سابق**)، ١/ ٦٧٢.

(٥) شهاب الدين الخفاجي، (**حاشية الشهاب، مرجع سابق**)، ٤/ ٣١٣.

(٦) ينظر: ابن منظور، (**لسان العرب، مرجع سابق**)، ٢/ ٥٧، فصل: الصاد المهملة. أبو الفيض مرتضى الزبيدي، (**تاج العروس، مرجع سابق**)، ٤/ ٥٩٨.

(٧) سورة التوبة، آية: ٢٥.

(٨) سورة التوبة، آية: ٢٦.

تنافى الإيمان.(٤) وعن الحسن: أنهم الذين ثبتوا مع رسول الله -ﷺ-. وقيل المراد ما يعم الطائفتين ولا يخلوا عن حسن، لا ضير في تحقق أصل السكينة في الثابتين من قبل. وفسر بعضهم السكينة بالأمان،(٥) وهو له -ﷺ- بمعاينه الملائكة، ولمن معه بظهور علامات ذلك، وللمنهزمين بزوال قلتهم واضطرابهم باستحضار أن ما شاء الله كان ومالم يشاء لم يكن. انتهى الوسي.(٦)

قوله: ﴿ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ بأبصاركم كما يرى بعضكم بعضا، وهم الملائكة على خيول بلق(٧) عليهم البياض. والصحيح أنهم لم يقاتلوا على ما تقدم من أنه لم يثبت قتال الملائكة إلا في يوم بدر، وإنما نزلوا لتقوية قلوب المسلمين وإن كانوا لا يرونهم، فقد قيل إن الكفار كانت تراهم.

وفي المواهب:(١) وروى أبو جعفر بن جرير(٢) بسنده عن

---

(١) وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة في أن مرتكب الكبيرة مسلم لكنه عاصي وعليه التوبة إلى الله؛ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ سورة النساء، آية: ٤٨. ولحديث عبادة بن الصامت -رضي الله عنه- الذي في البخاري قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله، إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه). أخرجه البخاري في صحيحه، ١٢/١، كتاب: الإيمان، باب: علامة الإيمان حب الأنصار، رقم: ١٨. ينظر: ابن تيمية، (**مجموع الفتاوى، مرجع سابق**)، ١/ ١٠٨.

(٢) ينظر: البغوي، (**معالم التنزيل، مرجع سابق**)، ٢/ ٣٣٣. ابن الجوزي، (**زاد المسير، مرجع سابق**)، ٢/ ٢٤٧. الخازن، (**لباب التأويل، مرجع سابق**)، ٢/ ٣٤٨.

(٣) ينظر: الألوسي، (**روح المعاني، مرجع سابق**)، ٥/ ٢٦٨.

(٤) البَلَقُ: اختلاط السوادُ والبياضُ، وكذلك البُلْقَةُ بالضم. يقال: فرسٌ أَبْلَقُ وفرسٌ بلقاء. ينظر: الجوهري، (**الصحاح، مرجع سابق**)، ٤/ ١٤٥١، (مادة: بلق). ابن منظور، (**لسان العرب، مرجع سابق**)، ١٠/ ٢٥، فصل: الباء.

(٥) أي: كتاب المواهب اللدنية للقسطلاني، (**مرجع سابق**)، ١/ ٤٠٠.

(٦) أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد، الطبري، وقيل يزيد بن كثير ابن غالب، رأس المفسرين، عالماً حافظاً، ولد سنة أربع وعشرين ومائتين، بآمل طبرستان، صاحب التفسير الكبير (جامع البيان) والتاريخ الشهير، كان إماما في فنون كثيرة منها التفسير والحديث والفقه والتاريخ وغير ذلك، وله مصنفات مليحة في فنون عديدة تدل على سعة علمه وغزارة فضله، وكان من الأئمة المجتهدين، وكان ثقة في نقله، وتاريخه أصح=

عبد الرحمن(٣) عن رجل كان في المشركين يوم حنين قال: "لما التقينا نحن وأصحاب رسول الله -ﷺ- / يوم حنين لم يقوموا لنا حلب شاة،(٤) فلما لقيناهم جعلنا نسوقهم في آثارهم حتى انتهينا إلى صاحب البغلة البيضاء، فإذا هو رسول الله -ﷺ-، قال: فتلقانا عنده رجال بيض الوجوه حسان، فقالوا لنا شاهت الوجوه ارجعوا، قال: فانهزمنا وركبوا أكتافنا".(٥)

وفي سيرة الدمياطي(٦) قال: كان سيما الملائكة يوم حنين عمائم حمراً أرخوها بين اكتافهم. انتهى.(٧)

وروي أن رجلاً من بني النضير قال للمؤمنين بعد القتال: أين الخيل البلق والرجال عليهم ثياب بيض ما كنا نراكم فيهم إلا كهيئة الشامة، وما قتلنا إلا

= التواريخ وأثبتها. وتوفي يوم السبت ودفن يوم الأحد في داره، في السادس والعشرين من شوال سنة عشر وثلاثمائة ببغداد. ينظر: ابن خلكان، (**وفيات الأعيان، مرجع سابق**)، ٤/ ١٩١. السيوطي، (**طبقات المفسرين، مرجع سابق**)، ١/ ٩٥.

(١) عبد الرحمن بن آدم البصري، صاحب السقاية، هو عبد الرحمن ابن أم برثن، تابعي، روى عن أبي هريرة، وكانت أم برثن تعالج الطيب، فأصابت غلاما لقطة، فربته حتى أدرك، وسمته عبد الرحمن، فكان مما يقال له " عبد الرحمن بن أم برثن "، وإنما قيل له: " عبد الرحمن بن آدم، نسب إلى أبي البشر جميعا، آدم عليه السلام، لم يكن يعرف له أب، وهو ثقة. مات في خلافة عبد الملك ابن مروان. ينظر: الذهبي، (**سير أعلام النبلاء، مرجع سابق**)، ٥/ ١٤٣، ٤/ ٢٥٢.

(٢) أي: إلا قدر ما تحلب الشاة، كناية عن قلة الزمن. ينظر: الطبري، (جامع البيان مرجع سابق)، ١٤/ ١٨٦.

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري، (**جامع البيان، مرجع سابق**)، ١٤/ ١٨٦، رقم: ١٦٥٨٢.

(٤) يعني أنه وصف الملائكة بهذا الوصف في سيرته. وهو: عبد المؤمن بن خلف الدمياطيّ، أبو محمد، شرف الدين: حافظ للحديث، من أكابر الشافعية. ولد بدمياط سنة ثلاث عشرة وستمائة. وتنقل في البلاد، وتوفي فجأة في القاهرة. قال الذهبي: كان مليح الهيأة، حسن الخلق، فصيحا لغويا مقرئا، جيد العبارة، كبير النفس، صحيح الكتب، مفيدا جدا في المذاكرة، من مؤلفاته: السيرة النبوية، المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح. توفي سنة ٧٠٥ من الهجرة. ينظر: الذهبي، (**تذكرة الحفاظ، مرجع سابق**)، ٤/ ١٧٩. الصفدي، (**الوافي بالوفيات، مرجع سابق**)، ١٩/ ١٥٩.

(٥) الحافظ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمياطي، (ت: ٧٠٥هـ)، (**السيرة النبوية**)، ج١، تحقيق: أسعد محمد الطيب، الناشر: دار الصابوني: حلب – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م)، ٢٤٢.

بأيديهم، فأخبروا بذلك النبي -ﷺ- فقال: (تلك الملائكة). انتهى خطيب.(٨) وقوله: ﴿ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ ﴾ أي: من بعد تعذيبهم.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ ﴾(١) قيل: أراد بالمشركين عبدة الأصنام دون غيرهم من أصناف الكفار، وقيل: بل أراد جميع أصناف الكفار عبدة الأصنام وغيرهم من اليهود والنصارى.(٢) ونجس بالفتح: مصدر، فيحتاج إلى تقدير مضاف أو تجوز وإن كان صفة كما ذكره الجوهري.(٣) فلابد

---

(١) الخطيب الشربيني، (**السراج المنير، مرجع سابق**)، ١/ ٥٩٩. والحديث أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، ١/ ٣٠٨، رقم: ٤١٢. والحاكم في المستدرك، ٣/ ٣٦٣، كتاب: معرفة الصحابة، رقم: ٤٥٠٣. قال الهيثمي في مجمع الزوائد: " في إسناده حسين بن عبد الله بن عبيد الله وبقية رجاله ثقات". ٦ / ٨٩، كتاب: المغازي، باب: ما جاء في الأسرى، رقم: ١٠٠١٤.

(٢) قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَا﴾ سورة التوبة، آية:٢٨.

(٣) اختلف العلماء في دخول الكفار المساجد والمسجد الحرام على خمسة أقوال ذكرها القرطبي في تفسيره: وملخصها: أن أهل المدينة قالوا: الآية عامة في سائر المشركين، وسائر المساجد، والإمام أحمد ومالك والشافعي قالوا: يحرم عليهم دخول الحرم. واختلف في الرواية عن أحمد دخولهم غير الحرم، فروي عنه المنع إلا لحاجة، وهو قول مالك، وروي عنه الجواز وهو قول الشافعي. وفي صحيح مسلم وغيره (إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من البول والقذر). والكافر لا يخلو عن ذلك وقال -صلى الله عليه وسلم-: (لا أحل المسجد لحائض ولا لجنب) والكافر جنب. وقوله تعالى: (إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ) فسماه الله تعالى نجساً، فلا يخلو أن يكون نجس العين أو مبعداً من طريق الحكم. وأي ذلك كان فمنعه من المسجد واجب؛ لأن العلة وهي النجاسة موجودة فيهم، والحرمة موجودة في المسجد. وقال الشافعي رحمه الله: "الآية عامة في سائر المشركين، خاصة في المسجد الحرام، ولا يمنعون من دخول غيره. وقال أبو حنيفة وأصحابه: لا يمنع اليهود والنصارى من دخول المسجد الحرام ولا غيره، وهذا قول يرده ما ذكرنا من الأسباب. ينظر: ابن تيمية، (**مجموع الفتاوى، مرجع سابق**)، ١٩/ ٢٣. القرطبي، (**الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق**)، ٨/ ١٠٤. وفي فتوى لابن باز-رحمه الله- أن الكفار جميعهم بلا استثناء يمنعون من دخول المسجد الحرام وحدوده للآية المذكورة. ويجوز لغيره من المساجد إن كان هناك حاجة أو مصلحة فقط. ينظر: ابن باز، (**مجموع الفتاوى، مرجع سابق**)، ٤/ ٢٧٤.

(٤) الجوهري، (**الصحاح، مرجع سابق**)، ٣/ ٩٨١، (مادة: نجس). قال الفراء: " لا تَكاد العرب تَقُولُ: نَجِسٌ إلا وقبلها رِجْس. فإذا أفردوها قالوا: نَجَس لا غير ولا يجمع ولا يؤنث، ولو أُنِّث هُوَ ومثله كَانَ صوابًا كما قالوا: هي: ضيفته وضيفه". الفراء، (**معاني القرآن، مرجع سابق**)، ١/ ٤٣٠.

من تقدير موصوف مفرد لفظاً مجموع معنى ليصبح الإخبار به عن الجمع، أي: جنس نجس ونحوه.

وقوله: "وهو مذهبنا"(٤) أي: نحن معاشر الحنفية.

قوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ﴾(٥) في المصباح: العيلة بالفتح الفقر، وهي مصدر عال يعيل، من باب سار فهو عائل والجمع عاله. / وهو في تقدير فعله مثل كافر وكفرة. وعيلان بالفتح: اسم رجل، ومنه قيس ابن عيلان،(٦) قال بعضهم: ليس في كلام العرب عيلان بالعين المهملة إلا هذا. انتهى.(١)

وفي المختار:(٢) وعيال الرجل من يعولهم، وواحد العيال عَيِّلٌ [كَجَيِّدٍ](٣) والجمع عَيَائِلُ كَجَيَائِدَ، وأعال الرجل كثرت عياله فهو معيل. والمرأة معيلة.

---

(١) يقصد مذهب الحنفية في دخول المشركين المسجد الحرام. حيث قال النسفي: " حين أمر أبو بكر -رضى الله عنه- على الموسم، ويكون المراد من نهي القربان النهي عن الحج والعمرة وهو من مذهبنا، ولا يمنعون دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد عندنا". النسفي، (**المدارك، مرجع سابق**)، ١/ ٦٧٣.

(٢) سورة التوبة، آية: ٢٨.

(٣) قَيْس عَيْلان بن مُضَر بن بزار بن معد بن عدنان، ويقال: قَيْس بن غيْلان وهو النَّاس أخو إلياس بن مُضَر. وإنَّما سُمِّي قَيْس عَيْلان بفرس كان له. وقيل بغلامة. وكان له من الولد خصفة وسعد وعمرو. وتفرع عنه عدّة قبائل ذكرها ابن حزم. اخْتلف فِي أَبِيه، وَذَلِكَ أَنهم اجْمَعُوا على أن مُضر بن نزار لم يكن لَهُ ولد مِمَّن أعقب إِلَّا ابْنَانِ أحدهما إِلْيَاس بن مُضر، لَا خلاف فِي اسْمه وَلَا فِي انه ولد مُضر لصلبه. أمّهم خندف اسْمهَا ليلى تنْسب فِي قضاعة وتنسب فِي الأزد، وَالثَّانِي النَّاس بن مُضر، قيل إِنَّه عيلان بن مُضر وَأَن عيلان ولد قيساً، وهذا قَول أَكثر النسابين الْعَرَب. ينظر: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (ت: ٣٨٥هـ)، (**المؤتلف والمختلف**)، ج٤، تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، (الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)، ١٨٠٠. ابن حزم، (**جمهرة الأنساب، =مرجع سابق**)، ١/ ٢٤٧، ٤٨٣. أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت: ٤٦٣هـ)، (**الإنباه على قبائل الرواة**)، ج١، المحقق: إبراهيم الأبياري، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت – لبنان، (الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)، ٦٤-٦٥.

(٤) أبو العباس الفيومي، (**المصباح المنير، مرجع سابق**)، ٢/ ٤٤٠.

(٥) زين الدين أبو عبد الله الرازي، (**مختار الصحاح، مرجع سابق**)، ١/ ٢٢٣، (مادة: عيل).

(٦) في الأصل: (جَيِّدٍ). والمثبت من مختار الصحاح.

قال الأخفش:(١) "أي: صار ذا عيال. انتهى.(٢)

قوله: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾ الآية.(٣)

لما فرغ من الكلام على مشركي العرب بقوله: ﴿ بَرَآءَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ إلى هنا، أخذ يتكلم على أهل الكتابين، قال مجاهد: "نزلت هذه الآية حين أمر النبي -ﷺ- بقتال الروم، فغزا بعد نزولها غزوة تبوك.(٤) وقال الكلبي:(٥) "نزلت في قريظة والنضير من اليهود، فصالحهم فكانت أول جزية أصابها أهل الإسلام، وأول ذل أصاب أهل الكتاب بأيدي المسلمين.(٦) وهذا خطاب للنبي -ﷺ- وأصحابه

---

(١) أبو الحسن، سعيد بن مسعدة المجاشعي، مولى لبني مجاشع بن دارم، يسمى بالأخفش الصغير، نحوي، هو أحذق أصحاب سيبويه، وأسن منه، وهو الطريق إلى كتاب سيبويه، لما مات سيبويه قرأ كتابه على الأخفش. كان أوسع الناس علماً بالكلام والجدل. له مؤلفات في النحو والعروض والقوافي، منها كتابه، (معاني القراء). توفي سنة ٢١٥ للهجرة. ينظر: الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي، أبو سعيد (ت: ٣٦٨هـ)، (**أخبار النحويين البصريين**)، ج١، المحقق: طه محمد الزيني، ومحمد عبد المنعم خفاجي - المدرسين بالأزهر الشريف، الناشر: مصطفى البابي الحلبي، (الطبعة: ١٣٧٣ هـ - ١٩٦٦ م)، ٤٠. محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذحج الزبيدي الأندلسي الإشبيلي، أبو بكر (ت: ٣٧٩هـ)، (**طبقات النحويين واللغويين**)، ج١، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الثانية، الناشر: دار المعارف، ٧٢.

(٢) الأخفش، (**معاني القرآن، مرجع سابق**)، ١/ ٣٥٦.

(٣) قال تعالى: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴾ سورة التوبة، آية: ٢٩.

(٤) مجاهد بن جبر، (**تفسير مجاهد، مرجع سابق**)، ١/ ٣٦٧.

(٥) هشام بن محمد بن السائب الكلبي، أبو المنذر، روى عن أبيه ومجاهد، عالم ومؤرخ نسابة من أهل الكوفة، له عدة مصنفات أشهرها (الجمهرة في النسب)، متروك الحديث هو وأبيه. قال الذهبي: " هشام لا يوثق به". رافضي لا يوثق به كما ذكر ذلك ابن حجر. توفي سنة ٢٠٤ للهجرة. ينظر: الذهبي، (**ميزان الاعتدال، مرجع سابق**)، ٤/ ٣٠٤. أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، (**لسان الميزان**)، ج٦، المحقق: دائرة المعرف النظامية – الهند، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت – لبنان، (الطبعة: الثانية، ١٣٩٠هـ /١٩٧١م)، ١٩٦.

(٦) ينظر: أبو القاسم السهيلي، (**مرجع سابق**)، ١/ ٥١.

المؤمنين. والمعنى: قاتلوا أيها المؤمنون الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر. إلى آخره انتهى.(١)

عبارة الخازن: "(فإن قلت) اليهود والنصارى يزعمون أنهم يؤمنون بالله واليوم الآخر، فكيف أخبر الله عنهم أنهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر؟ (قلت) أن إيمانهم بالله ليس كإيمان المؤمنين، وذلك أن اليهود يعتقدون التجسيم والتشبيه،(٢) والنصارى يعتقدون الحلول،(٣) ومن اعتقد ذلك فليس بمؤمن بالله بل هو شرك بالله. وقيل: من كذّب رسولاً من رسل الله فليس بمؤمن بالله. واليهود / والنصارى يكذبون أكثر الأنبياء فليسوا بمؤمنين بالله. وأما إيمانهم باليوم الآخر

---

(١) الخازن، (**لباب التأويل، مرجع سابق**)، ٢/ ٣٤٩.

(٢) هو تشبيههم الله -عز وجل- بأن له جسم ذو صورة ومتناه محدود أبيض... إلى غير ذلك، تعالى الله عن ذلك. ينظر: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي (ت: ٤٠٣هـ)، (**تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل**) ج١، المحقق: عماد الدين أحمد حيدر، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية – لبنان، (الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م)، ١٩٤.

وهذا قول في غاية الضلالة والجهل. فالتجسيم والتشبيه منفيان عنه وعن صفاته، ومن الألفاظ المبتدعة في حقه تعالى. ولم ينقل مثل ذلك عن الأنبياء ولا الصحابة ولا التابعين ولا سلف هذه الأمة. ولم يرد في الشرع، فلزم التوقف عنه. فما كان هذا سبيله من الألفاظ المحتملة التي لم يرد بها الشرع لا تثبت ولا تنفى إلا بعد الاستفسار عن معانيها؛ حتى لا نقع فيما وقعو به. وليس لنا إلا أن نؤمن بما وصفه الله لنفسه أو وصفه به رسوله -صلى الله عليه وسلم- من غير تعطيل أو تمثيل. للاستفادة أكثر: ينظر: ابن تيمية، (**مجموع الفتاوى، مرجع سابق**)، ٢/ ٧٣- ٤/ ١٥٠.

(٣) الحلول نوعان: حلول عام، وحلول خاص. أما الحلول العام فمعناه: حلول الله في الكون فيصبح الكون كله بكل جزيئاته محلًا له سبحانه وتعالى، وإن الله بذاته في كل مكان ولا يخلو منه مكان. والحلول الخاص: يُقصد به حلول ذات الله أو صفة من صفاته في جسد إنسان معين من خلقه أو روحه أو في أي كائن آخر حيًا كان أو جمادًا بحيث يصبح هذا الشخص المعين أو الكائن المعين محلا للإله ومظهرًا له. وهذا النوع من الحلول هو الذي تقول به النصارى حيث يقولون: إن ذات الله حلت في عيسى كحلول الماء في الإناء، وكلا النوعين باطل في حق الله لما يترتب عليه من المحاولات في حقه -عز وجل-. ينظر: الشريف الجرجاني، (**التعريفات، مرجع سابق**)، ١/ ٩٢-٩٣، باب: الحاء. تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ)، (**دقائق التفسير**)، ج٢، المحقق: د. محمد السيد الجليند، الناشر: مؤسسة علوم القرآن – دمشق، (الطبعة: الثانية، ١٤٠٤هـ)، ١٩٢-١٩٣. عبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود، (**موقف ابن تيمية من الأشاعرة**)، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض، (الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥م)، ١/ ١٢١.

فليس كإيمان المؤمنين؛ وذلك أنهم يعتقدون بعثة الأرواح دون الأجساد، ويعتقدون أن أهل الجنة لا يأكلون فيها ولا يشربون ولا ينكحون،(١) ومن اعتقد ذلك فليس إيمانه كإيمان المؤمنين وإن زعم أنه مؤمن. انتهى.(٢)

قوله: "لأنهم لا يُحرِّمون ما حَرّم في الكتاب" كالخمر والخنزير.(٣) وقوله: "ولا يدينون دين الحق" أي: لا يعتقدون صحة الإسلام الذي هو دين الحق. وقيل: الحق هو الله تعالى، ومعناه: ولا يدينون في دين الله ودينه الإسلام وهو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾.(٤) (٥)

قوله: ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ أي: أعطوا الكتاب وهم اليهود والنصارى. قوله: "وأما المجوس فملحقون بأهل الكتاب في قبول الجزية(٦) منهم" يدل عليه: ما روي عن بجالة بن عبيده ويقال عبده:(٧) "لم يكن عمر-

---

(١) ينظر: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ)، (**الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**)، ج١، تحقيق: علي بن حسن - عبد العزيز بن إبراهيم - حمدان بن محمد، الناشر: دار العاصمة، السعودية، (الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م)، ٤٢٢، ٢/ ٧٩. ابن كثير، (**تفسير القران العظيم، مرجع سابق**)، ٤/ ١٣٢.

(٢) الخازن، (**لباب التأويل، مرجع سابق**)،٢/ ٣٤٩.

(٣) حيث حللوا لأنفسهم ما حرمه الله عليهم وعلى غيرهم من شرب الخمر وأكل لحم الخنزير، وما حرمه عليهم إلا لضرر، لقوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ ﴾ سورة الأنعام، آية: ١٤٥.

(٤) سورة آل عمران: آية، ١٩.

(٥) الخازن، (**لباب التأويل، مرجع سابق**)، ٢/ ٣٥٠. وقال: " وليس المقصود من أخذ الجزية من أهل الكتاب إقرارهم على كفرهم، بل المقصود من ذلك حقن دمائهم وإمهالهم رجاء أن يعرفوا الحق فيرجعوا إليه، بأن يؤمنوا ويصدقوا إذا رأوا محاسن الإسلام وقوة دلائله وكثرة الداخلين فيه".

(٦) الجزية: من الجزاء، ما يأخذه حاكم المسلمين من أهل الذمة من المال، عقوبة على تأمينهم وإقرارهم على كفرهم. ينظر: أبو يعلى الفراء، (**العدة في أصول الفقه، مرجع سابق**)، ٣٦١/٢.

(٧) بجالة بن عبدة: هو كاتب جزي بن معاوية التميمي البصري، عم الأحنف بن قيس، قال: "أتانا كتاب عمر أن" اقتلوا كل ساحر وساحرة، وكتابه في المجوس. مات سنة ٨٠هـ. ينظر: الذهبي، (**تاريخ الإسلام، مرجع سابق**)، ٢/ ١٠٦٥. الصفدي، (**الوافي بالوفيات، مرجع سابق**)، ١٠/ ٤٧.

رضي الله عنه- أخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- أخذها من مجوس هجر.(١) أخرجه البخاري.(٢) وأخذ رسول الله ﷺ- الجزية من مجوس البحرين، وأخذها عمر- رضي الله عنه- من مجوس فارس. وأخذها عثمان ابن عفان -رضي الله عنه- من البربر.(٣) أخرجه مالك في الموطأ.(٤)

وفي البيضاوي:(٥) "أقلها في كل سنة دينار، سواء فيه الغني والفقير.(٦) وقال أبو حنيفة: على الغني ثمانية وأربعون درهماً، وعلى المتوسط نصفها، وعلى الفقير الكسوب -القادر على الكسب-ربعها، ولا شيء على الفقير غير الكسوب.(٧) انتهى.

قوله: " بخلاف مشركي العرب"(٨) وذلك / لأن كفرهم قد تغلظ؛ لأن النبي -صلى الله عليه- وسلم نشأ فيهم وأرسل وهو من أنفسهم ونزل القران بلغتهم.

---

(١) المجوس: هم عبدة النار. وهجر: اسم بلد في البحرين. يذكر فيصرف وهو الأكثر ويؤنث فيمنع من الصرف ينظر: ياقوت الحموي، (**معجم البلدان، مرجع سابق**)، ١/ ٣٤٨. أبو العباس الفيومي الحموي، (**المصباح المنير، مرجع سابق**)، ٢/ ٦٣٤، (مادة: هجر).

(٢) صحيح البخاري، ٤/ ٩٦، كتاب: الجزية، باب: الجزية والموادعة مع أهل الحرب، رقم: ٣١٥٦.

(٣) البربر: قبيلة في المغرب، من ولد قبط بن حام. ينظر: الاصطخري الكرخي، (**المسالك والممالك، مرجع سابق**)، ص: ٤٤.

(٤) موطأ مالك بن أنس، ١/ ٢٧٨، كتاب: الزكاة، باب: جزية أهل الكتاب والمجوس، رقم: ٤١. قال الألباني في إرواء الغليل: " مرسل". ٥/ ٩٠. قال الهيثمي في مجمع الزوائد: " رجاله رجال الصحيح غير الحسين بن سلمة بن أبي كبشة وهو ضعيف". ٦/ ١٣/ رقم: ٩٧٩٩.

(٥) البيضاوي، (**أنوار التنزيل، مرجع سابق**)،٣/ ٧٨.

(٦) لقوله -صلى الله عليه وسلم- لمعاذ لما بعثه إلى اليمن: (خذ من كل حالم ديناراً". والحالم: المحتلم. أخرجه أبو داوود في سننه، ٣/ ١٦٧، رقم: ٣٠٦٨. والترمذي في سننه، ٣/ ١١، رقم: ٦٢٣، وقال: "حديث حسن".

(٧) الأثر أخرجه الزيلعي في نصب الراية، ٣/ ٤٤٧، والحديث لابن عمر -رضي الله عنه-، باب: الجزية. قال: " حديث مرسل"..

(٨) قال النسفي عند تفسير قوله تعالى: "﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ سورة التوبة، آية: ٢٩ "(من الذين أوتوا الكتاب)، بيان للذين قبله وأما المجوس فملقحون بأهل الكتاب في قبول الجزية، وكذا الترك والهنود وغيرهما، بخلاف مشركي العرب؛ لما روي الزهري أن النبي -عليه السلام- صالح عبدة الأوثان على الجزية إلا من كان من العرب". النسفي، (**مدارك التنزيل، مرجع سابق**)، ١/٦٧٤.=

وذلك من أقوى البواعث على إيمانهم، فلا يقبل منهم إلا السيف أو الإسلام زيادة في العقوبة عليهم، مع اتباع الوارد في ذلك، فلا يرد أن أهل الكتاب عرفوا النبي -ﷺ- أيضاً معرفة تامة وأنكروه فكان مقتضاه أنه لا يقبل منهم الجزية بل إما الاسلام أو السيف؛ لأن ذلك لم يرد ففرق بينهما.(١)

قوله: ﴿ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ﴾ إلى آخره.(٢) غاية في القتال. والمراد بإعطائها التزامها بالعقد وإن لم يجأ وقت دفعها. والجزية تؤخذ منهم في نظير كفِّنا القتال عنهم، وكفِّنا عنهم من يعاديهم.

وفي الألوسي: "(حتى يعطوا) أي: يقبلوا أن يعطوا (الجزية) أي: ما تقرر عليهم أن يعطوه، وهي مشتقة من جزى دينه أي قضاه، أو من جزيته بما فعل أي: جازيته لأنهم يجزون بها من عليهم بالعفو عن القتل.(٣) وفي الهداية:(٤) أنها جزاء الكفر فهي من المجازاة، وقيل: أصلها الهمز من الجزء والتجزئة؛ لأنها طائفة من المال يعطى. وقال الخوارزمي:(٥) "أنها معرب كزيت وهو الخراج بالفارسية، وجمعها جزى كلحية ولحى.(٦) انتهى.(٧)

= ولمعرفة الأحكام أكثر ينظر: القرطبي، (**الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق**)، ٨/ ١١٣-١١٤.

(١) ينظر: الخازن، (**لباب التأويل، مرجع سابق**)، ٢/ ٣٥٠. بتصرف.

(٢) قال النسفي عند قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴾ سورة التوبة، آية: ٢٩

" (حتى يعطوا الجزية) إلى أن يقبلوها، وسميت جزية لأنه يجب على أهلها أن يجزوه أي: يقضوه، أو هي جزاء على الكفر". النسفي، (**مدارك التنزيل، مرجع سابق**)، ١/ ٦٧٤.

(٣) الألوسي، (**روح المعاني، مرجع سابق**)، ٥/ ٢٧١. وينظر: أبو منصور الهروي، (**تهذيب اللغة، مرجع سابق**)، ١١/ ١٠١، باب: الجيم والزاي.

(٤) ينظر: مكي القيسي، (**الهداية إلى بلوغ النهاية، مرجع سابق**)، ٤/ ٢٩٦٦. وما بعدها.

(٥) محمد بن أحمد بن يوسف، أبو عبد الله، الكاتب البلخي الخوارزمي: باحث. من أهل خراسان. له كتاب (مفاتيح العلوم)، ألفه وأهداه للوزير العتبي (عبيد الله بن أحمد). ويعد كتابه من أقدم ما صنفه العرب، على الطريقة الموسوعية، قال المقريزي: وهو كتاب جليل القدر. ينظر: الزركلي، (**الأعلام، مرجع سابق**)، ٥/ ٣١٢.

(٦) محمد بن أحمد بن يوسف، أبو عبد الله، الكاتب البلخي الخوارزمي (ت: ٣٨٧هـ)، (**مفاتيح العلوم**)، ج١، المحقق: إبراهيم الأبياري، الناشر: دار الكتاب العربي، (الطبعة: الثانية)، ٨٥.

(٧) الألوسي، (**روح المعاني، مرجع سابق**)، ٥/ ٢٧١.

قوله: ﴿ عَن يَدٍ ﴾ حال من فاعل يعطوا.(١) وقوله: [مؤاتية](٢) بالمثناة الفوقية من المؤاتاة: وهي الموافقة وعدم الامتناع والطاعة. واليد هنا إما يد المعطي أو يد الآخذ.(٣) وفي الكشاف:(٤) معناه على إرادة المعطى: حتى يعطوها عن يد أي: من يد مؤاتية غير ممتنعة؛ لأن من أبي وامتنع لم يعط يده، بخلاف المطيع المنقاد، ولذلك / قالوا: أعطى يده إذا انقاد وأصحب، ألا ترى إلى قولهم: نزع يده من الطاعة كما يقال خلع ربقة الطاعة عن عنقه، أو حتى يعطوها عن يد إلى يد نقداً غير نسيئة لا مبعوثاً عن يد أحد ولكن عن يد المعطى إلى يد الآخذ. وأما على إرادة يد الآخذ فمعناها: حتى يعطوها عن يد قاهرة مستولية أو عن إنعام عليهم؛ لأن قبولها منهم وترك أرواحهم لهم نعمة عظيمة عليهم. انتهى شهاب.(٥)

قوله: "وأن يتلتل تلتلة"(٦) في المختار: تلتلة: زعزعة واقلعه وزلزله. وتله للجبين: صرعه كما تقول كبه لوجهه. انتهى.(٧)

قوله: "ويؤخذ بتلبيبه" التلبيب: أن يجمع ثوبه على عنقه ويجره إليه.(٨) وقوله: "ويزخ" أي: يدفع في وَهدَة.(٩)

---

(١) وهي كناية عن الانقياد، أي عن يد مؤاتية غير ممتنعة. لأن من أبى وامتنع لم يعط يده، بخلاف المطيع المنقاد. محمود بن عبد الرحيم صافي (ت: ١٣٧٦هـ)، (**الجدول في إعراب القران**)، ج١٠، الناشر: دار الرشيد، دمشق - مؤسسة الإيمان، بيروت، (الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ)، ٣٢١.

(٢) في النسفي: (موانية). وهو ربما خطأ في النسخ. والعامة تقول: مواتية. كما في كتب اللغة. ينظر: الفراهيدي، (**العين، مرجع سابق**)، ٨/ ١٤٦، باب: اللفيف من التاء.

(٣) عَنْ يَدٍ قيل: يعني عن قهر وغلبة، وقيل: يعطونها بأيديهم ولا يرسلون بها على يد غيرهم، قاله ابن عباس. وقيل: يعطونها نقدا لا مؤجلة. ينظر: الخازن، (**لباب التأويل، مرجع سابق**)، ٢/ ٣٥٠. ابن كثير، (**تفسير القران العظيم، مرجع سابق**)، ٤/ ١٣٣.

(٤) الزمخشري، (**الكشاف، مرجع سابق**)، ٢/ ٢٦٢.

(٥) شهاب الدين الخفاجي، (**حاشية الشهاب، مرجع سابق**)، ٤/ ٣١٧.

(٦) قال النسفي:" (وهم صاغرون) أي: تؤخذ منهم على الصغار والذل، وهو أن يأتي بها بنفسه ماشياً غير راكب ويسلمها وهو قائم والمتسلم جالس، وأن يتلتل تلتلة ويؤخذ بتلبية ويقال له: أد الجزية يا ذمي...". النسفي، (**مدارك التنزيل، مرجع سابق**)، ١/ ٦٧٤.

(٧) زين الدين أبو عبد الله الرازي، (**مختار الصحاح، مرجع سابق**)، ١/ ٤٦، (مادة: تلل).

(٨) ابن منظور، (**لسان العرب، مرجع سابق**)، ١/ ٧٣٣، فصل: الام.

(٩) وهدة: الوَهْدُ: المكانُ المنخفض، كأنّه حُفْرة. تقول: أرضٌ وَهْدة، ومكانٌ وَهْدٌ. ويكون الوَهْدُ اسماً للحُفرة. الفراهيدي، (العين، **مرجع سابق**)، ٤/ ٧٧، باب: الهاء والدال.

وفي حديث أبى موسى -رضي الله عنه-:(١) "من يتبع القرآن يهبط به على رياض الجنة، ومن يتبعه القرآن يزخ في قفاه حتى يقذف به في نار جهنم.(٢) انتهى مختار.(٣)

قوله: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾(٤) اعلم أنه تعالى لما حكم في الآية المتقدمة على اليهود والنصارى بأنهم لا يؤمنون بالله، شرح ذلك في هذه الآية، وذلك بأن نقل عنهم أنهم اثبتوا [لله](٥) ابناً، ومن جوز ذلك في حق الإله فهو في الحقيقة قد أنكر الإله. وأيضاً بين تعالى أنهم بمنزلة المشركين في الشرك، وإن كانت طرق القول بالشرك مختلفة، إذ لا فرق بين من يعبد الصنم وبين من يعبد المسيح وغيره؛ لأنه لا معنى للشركة إلا أن يتخذ الإنسان مع الله معبود، فإذا حصل هذا المعنى فقد حصل الشرك، بل أنَّا لو تأملنا لعلمنا أن كفر عابد / الوثن أخف من كفر النصارى؛ لأن عابد الوثن لا يقول إن هذا الوثن خالق العالم وإله العالم، بل يجريه مجرى الشيء الذي يتوسل به إلى طاعة الله. أما النصارى فإنهم يثبتون الحلول والاتحاد،(٦) وذلك كفر قبيح جداً. فثبت أنه لا

---

(١) الصحابي الجليل: عبد الله بن قيس الأشعري -رضي الله عنه-، التميمي الفقيه المقرئ، صاحب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-سمع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قراءة أبي موسى الأشعري، فقال: (لقد أوتي هذا من مزامير آل داود)، روى عنه أنس بن مالك وأبو سعيد الخدري -رضي الله عنهما-، ولي الكوفة، مات سنة خمسين، ويقال: سنة إحدى وخمسين بالكوفة. ينظر: ابن حبان، (**الثقات، مرجع سابق**)، ٢/ ٢١٤. أبو نعيم، (**معرفة الصحابة، مرجع سابق**)، ٤/ ١٧٤٩. ابن عبد البر، (**الاستيعاب مرجع سابق**)، ٤/ ١٧٦٢.

(٢) أخرجه الدارمي في سننه، (**مرجع سابق**)، ٤/ ٢٠٩٦، كتاب: فضائل القران، باب: فضل من قرأ القران، رقم: ٣٣٧١، قال: " أبو كناية ما رأيت فيه جرحاً ولا تعديلاً فهو على شرط ابن حبان وباقي رجاله ثقات". وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف، (**مرجع سابق**)، ٦/ ١٢٣، كتاب: فضائل القران، باب: التمسك بالقران، رقم: ٣٠٠١٤. وَ٧/ ١٥٥، رقم: ٣٤٨١٠. وأخرجه أبو نعيم في الحلية، (**مرجع سابق**)، ١/ ٢٥٧.

(٣) زين الدين أبو عبد الله الرازي، (**مختار الصحاح، مرجع سابق**)، ١/ ١٣٥، (مادة: زخ).

(٤) ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ سورة التوبة، آية: ٣٠.

(٥) ساقط من الأصل، والمثبت من مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي، ١٦/ ٢٧.

(٦) معنى الحلول والإتحاد: الواسطة بين الله -سبحانه وتعالى- وبين عيسى -عليه السلام-، وهو قولهم بالحلول والاتحاد، وأن الله في كل مكان، وأن وجود المخلوقات هو وجود الخالق، كما صرح بذلك ابن عربي ومن معه من الصوفية. والاتحاد محال قطعاً، =

فرق بين هؤلاء [الحلولية](١) وبين سائر المشركين، وأنهم إنما خصهم بقبول الجزية منهم لأنهم في الظاهر ألصقوا أنفسهم بموسى وعيسى، وادّعوا أنهم يعملون بالتوراة والإنجيل. فلأجل تعظيم هذين الرسولين وتعظيم كتابيهما وتعظيم أسلاف هؤلاء اليهود والنصارى بسبب أنهم كانوا على الدين الحق، حكم الله بقبول الجزية منهم. وإلا ففي الحقيقة لا فرق بينهم وبين المشركين. انتهى فخر.(٢)

وقوله: ﴿ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ بالتنوين أي: تنوين الصرف وتركه قراءتان سبعيتان،(٣) فالأُولى بناء على أنه عربي وليس فيه إلا علة، والثانية بناء على أنه أعجمي ففيه العلتان العلمية والعجمة. وعلى كل هو مبتدأ و(ابن) خبره،

=ومذهب أهل السنة والجماعة: أن الله -سبحانه وتعالى- بائناً عنهما – أي مريم عليها السلام- وعيسى عليه السلام-، لم يدخل فيهما ولم يدخلا فيه. وأن الله ليس حالاً في شيء من المخلوقات ولا يظهر في شيء من الأجسام أو غيرها. ومن قال بذلك منهم فهو كافر. قال ابن تيمية -رحمه الله-: "هذا كفر وصاحبه كافر بعد قيام الحجة علية". ينظر: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ)، (**الاستقامة**)، ج١، المحقق: د. محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود - المدينة المنورة، (الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ)، ١٢٣. أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت: ١٣٠٧هـ)، (**قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر**)، ج١، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة =العربية السعودية، (الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ)، ٤٨. نعمان بن محمود بن عبد الله، أبو البركات خير الدين، الألوسي (ت: ١٣١٧هـ)، (**جلاء العينين في محاكمة الأحمدين**)، ج١، قدم له: علي السيد صبح المدني. الناشر: مطبعة المدني، (عام النشر: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م)، ٤٤٤. وللاستفادة أكثر يراجع: ابن تيمية، (**الجواب الصحيح، مرجع سابق**)، ٤/ ٩٩٢. وما بعدها.

(١) في الأصل: (الحلوبية). ولحلوليه: فرقة متصوفة تعتقد مذهب الحلول، وهي أقبح من كفر اليهود والنصارى. ينظر: الطحاوي، (**متن الطحاوية، مرجع سابق**)، ١/ ٤٥.

(٢) فخر الدين الرازي، (**مفاتيح الغيب، مرجع سابق**)، ١٦/ ٢٧-٢٨.

(٣) قرأ عاصم والكسائي ويعقوب بالتنوين وكسر حالة الوصل. وقرأ عامة قراء أهل المدينة وبعض المكيين والكوفيين بحذف التنوين. وعزير -عليه السلام- نبي الله، وهو اسم ينصرف مع عجمته. فمن قرأ بالتنوين فهو على أساس أن الاسم عربي بسبب التصغير، والتصغير لا يدخل على الأعلام الأعجمية. فيكون عزير مبتدأ و (ابن) خبر. والعرب لا تنون الأسماء إذا كان الابن نعتا للاسم. وإذا أضافوا الاسم إلى غير أبيه نَوّنو لقلة الاستعمال. ينظر: الطبري، (**جامع البيان مرجع سابق**)، ١٤/ ٢٠٤-٢٠٥. بن نجاح، (**مختصر التبيين، مرجع سابق**)، ٣/ ٦١٩. أبو الخير ابن الجزري، (**النشر، مرجع سابق**)، ٢/ ٢٧٩.

فلذلك ثبتت الألف في ابن؛ لأنها لا تحذف منه إلا ان كان صفة. وقوله: "عربياً" أي: وهو مصروف. قوله: ﴿ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ (١)فائدته مع أن القول لا يكون إلا بالفم: الإعلام بأن ذلك مجرد قول لا أصل له، مبالغة في الرد عليهم؛ لأن إثبات الولد للإله مع أنه منزه عن الحاجة والشهوة والمضاجعة والمباضعة، قول باطل ليس له تأثير في العقل. ونظيره قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡ﴾ انتهى كرخي.(٢)

قوله: "ثم حذف المضاف" هو: قول.(٣) وقوله: "وأقيم الضمير المضاف إليه مقامه" هو الهاء.(٤)

وقوله: / "فانقلب مرفوعاً" أي: بعد أن كان مجروراً.(٥) و(يضاهون) بضم الهاء بعدها واو وهي قراءة العامة.(٦) وقرأ عاصم بهاء مكسور بعدها همزة مضمومة بعدها واو. فقيل هما بمعنى واحد وهو المشابهة.(٧) وفيه لغتان ضاهأت وضاهيت، بالهمزة والياء. والهمزة لغة ثقيف.(٨) وقيل: الياء فرع عن

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٦٧.

(٢) سليمان الحمل، (**حاشية الجلالين، مرجع سابق**)، ٢/ ٢٩٨-٢٩٠.

(٣) في قوله تعالى: ﴿يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُ﴾ سورة التوبة، آية: ٣٠. "لابد فيه من حذف مضاف تقديره يضاهي قولهم، ثم حُذف المضاف وأقيم الضمير المضاف إليه مقامه". النسفي، (**مدارك التنزيل، مرجع سابق**)، ١/ ٦٧٥.

(٤) قال النسفي عند تفسير قوله تعالى: ﴿يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُ﴾ سورة التوبة، آية: ٣٠

" يعني أن الذين كانوا في عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من اليهود والنصارى يضاهي قولهم قول قدمائهم. يعني أنه كفر قديم فيهم غير مستحدث. أو الضمير للنصارى أي: يضاهي قولهم المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لأنهم أقدم منهم". النسفي، (**مدارك التنزيل، مرجع سابق**)، ١/ ٦٧٥.

(٥) يقصد قوله: (يضاهئون).

(٦) وبغير همز، وهي قراءة أهل الحجاز والعراق. ينظر: الطبري، (**جامع البيان، مرجع سابق**)، ١٤/ ٢٠٧.

(٧) المضاهاة: مشاكلة الشيء بالشيء. أي يشابهون في قولهم هذا قول من تقدم من كفرتهم. ينظر: أبو منصور الهروي، (**تهذيب اللغة، مرجع سابق**)، ٦/ ١٩١، باب: الهاء والضاد.

(٨) ينظر: الجوهري، (**الصحاح، مرجع سابق**)، ١/ ٦٠، (مادة: ضهأ).

الهمزة كما قالوا: قرأت وقريت، وتوضأت وتوضيت، وأخطأت وخطيت. انتهى سمين.(١)

وقوله: "يضاهئون عاصم" أي بهاء مكسورة بعدها همزة مضمومة. الى آخر ما تقدم قبله عن السمين.(٢)

وقوله:﴿ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴾ قال ابن عباس-رضي الله عنه-: "لعنهم الله".(٣) وقال ابن جريج:(٤) "قتلهم الله".(٥) وقيل: ليس هو على تحقيق المقاتلة، ولكنه بمعنى التعجب أي: حق يقال لهم هذا القول؛ تعجباً من بشاعة قولهم، كما يقال لمن فعل فعلاً يتعجب منه: قاتله الله ما أعجب فعله. انتهى.(٦)

قوله: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ إلى آخره.(٧) يعني: يريد رؤساء اليهود والنصارى أن يطفؤوا نور الله. الى آخره. والمراد بنور الله: حجته تعالى النيرة المشرقة الدالة على وحدانيته وتنزهه سبحانه وتعالى عن الشركاء والأولاد.(٨)

---

(١) السمين الحلبي: (**الدر المصون، مرجع سابق**)، ٦/ ٣٩.

(٢) في قراءة عاصم. **السمين الحلبي، (الدر المصون، مرجع السابق)**، ٦/ ٣٩.

(٣) ابن عباس -رضي الله عنه-، **(تنوير المقباس، مرجع سابق)**، ١/ ١٥٦. والأثر أخرجه الطبري في جامع البيان، ١٤/ ٢٠٧، رقم: ١٦٦٢٨. وابن أبي حاتم في تفسيره، ٦/ ١٧٨٣، رقم: ١٠٠٥٢.

(٤) عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، ويكنى أبا الوليد، وأبو خالد، من فقهاء الحجاز وقراءهم، وكان جريج عبدا لأم حبيب بنت جبير وكانت تحت عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية فنسب إلى ولائه وولد عبد الملك بن عبد العزيز عام الجحاف سنة ثمانين، وأصله رومي، كان من أوعية العلم، واول من صنف الكتب، صدوقاً تقياً، ثقة كثير الحديث. اختلف في وفاته: قيل: مئة وخمسين، وقيل تسعة وأربعين، وقيل إحدى وخمسين، وقد جاوز السبعين. ينظر: ابن سعد، (**الطبقات، مرجع سابق**)، ٥/ ٤٩١. ابن حبان، (**الثقات مرجع سابق**)، ٧/ ٩٣. المزي، (**تهذيب الكمال، مرجع سابق**)، ١٨/ ٣٣٨ وما بعدها.

(٥) أخرجه الطبري، (**جامع البيان، مرجع سابق**)، ١٤/ ٢٠٧، رقم: ١٦٦٢٩.

(٦) وهو دعاء بالهلاك عليهم. الألوسي، (**روح المعاني، مرجع سابق**)، ٥/٢٧٥-٢٧٦. بتصرف.

(٧) ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ سورة التوبة، آية:٣٢.

(٨) قال تعالى: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴾ سورة الإخلاص، آية: ١-٤.

أو القران العظيم الصادع [الصادح](١) بذلك. وقيل نبوته -عليه الصلاة والسلام- التي ظهرت بعد أن استطال دُجا الكفر صبحاً منيراً. وأياً ما كان فالنور استعارة أصليه تصريحيه(٢) لِمَا ذُكر، وإضافته إلى الله تعالى قرينة. والمراد من الإطفاء: الرد والتكذيب أي: يريد أهل الكتابين أن يردوا ما دل على توحيد الله تعالى وتنزيهه عما نسبوه إليه تعالى. (بأفواههم) / أي: بأقاويلهم الباطلة. قيل: ويجوز أن يكون في الكلام استعارة تمثيلية، بأن يشبه حالهم في محاولة إبطال نبوته -ﷺ- بالتكذيب، بحال من يريد أن ينفخ في نور عظيم منبث في الآفاق، ويكون قوله: ﴿ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ ﴾ ترشيحاً للاستعارة؛ لأن إتمام النور زيادة في استنارته وفشو ضوئه، فهو تفريغ على المشبه به، وما بعده من قوله سبحانه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ إلى آخره.(٣) تجريد وتفريع على الفرع. وروعي في كل من المشبه والمشبه به معنى الافراط والتفريط، حيث شبه الإبطال بالإطفاء بالفم، ونسب النور إلى الله العظيم الشأن، ومن شان النور المضاف إلى الله تعالى أن يكون عظيماً، فكيف يطفئ بنفخ الفم. انتهى الوسي.(٤)

قوله: "أجري (ويأبي الله) مجرى، لا يريد الله"(٥) في الكشاف:(٦) "(فإن قلت) كيف جاز (أبى الله إلا كذا) ولا يقال كرهت أو أبغضت إلا زيدا؟ (قلت) قد أجرى (أبى) مجرى (لم يرد)، ألا ترى كيف قوبل (يريدون أن يطفؤوا) بقوله: (ويأبى الله)، وكيف أوقع موقع (ولا يريد الله إلا أن يتم نوره). انتهى.

---

(١) ساقط من الأصل، والمثبت من الألوسي، (**الدر المصون، مرجع سابق**)، ٥/ ٢٧٧.

(٢) الاستعارة الأصلية: ما كان اللفظ المستعار فيها اسم جنس غير مشتق. وسميت الاستعارة التصريحية "استعارة أصلية" نسبة إلى الأصل بمعنى الكثير الغالب. ينظر: السكاكي، (**مفتاح العلوم، مرجع سابق**)، ١/ ٤٩٣. حامد عونى، (**المنهاج الواضح للبلاغة**)، ج٣، الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث، ٢٥١-٢٥٢.

(٣) ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ سورة التوبة، آية: ٣٣.

(٤) الألوسي، (**روح المعاني، مرجع سابق**)، ٥/ ٢٧٧.

(٥) قال النسفي عند قوله تعالى: ﴿ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ ﴾ سورة التوبة، آية: ٣٢ "أجرى (ويأبى الله) مجرى لا يريد الله، ولذا وقع في مقابلة (يريدون)، وإلا لا يقال كرهت أو أبغضت إلا زيداً ". النسفي، (**المدارك، مرجع سابق**)، ١/ ٦٧٦.

(٦) الزمخشري، (**الكشاف، مرجع سابق**)، ٢/ ٢٦٥.

وفي الكرخي: "وإنما صح الاستثناء المفرغ من الموجب لكونه بمعنى النفي؛(١) لوقوعه في مقابلة قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ ﴾ وفيه من المبالغة والدلالة على الامتناع ما ليس في نفي الإرادة(٢) أي: لا يريد شيئاً من الأشياء إلا إتمام نوره، فيندرج في المستثنى منه بقاؤه على ما كان عليه فضلاً عن الاطفاء. انتهى.(٣)

(١) حمل (يأبى) في إفادة النفي على (لا يريد)؛ لأنهما بمعنى واحد؛ والمعنى: لا يريد الله إلا أن يتم نوره "إتمام نوره" فلا فرق في النفي بين أن يكون في اللفظ أو في المعنى؛ ولذا عد من باب الاستثناء المفرغ. ولا يكون الاستثناء المفرغ إلا بعد نفي أو شبهة، وهو ما حذف من جملته المستثنى منه. ويكون فيه الكلام غير تام وغير موجب معاً. أما الموجب هو: الجملة التي ليس فيها نفي أو شبهه؛ وهو النهي والاستفهام المتضمن معنى النفي، كالإنكاري. ينظر: عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (ت: ٧٦١هـ)، (**أوضح المسالك على ألفية ابن مالك**)، ج٢، المحقق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٢٣-٢٢٤.

(٢) وليس معنى ذلك أن قوله: (ويأبى الله) عدم إرادته تعالى بإتمام نوره، فالإرادة صفة من صفات المعاني، وهي قسمان: كونية عامة فيما يحبه الله وفيما لا يحبه، مرادفة تماماً للمشيئة. وشرعية تختص فيما يحبه الله، وهي مرادفة للمحبة. والمؤمن يجب عليه أن يعلق أحواله وأعماله ومخاوفه بالله تعالى وحده فهو المتصرف بكل شيء وكل شيء بإرادته، وعلى المؤمن التوكل والعمل. وقد ذكر ابن عثيمين -رحمه الله فروقاً بينهما لا يتسع المجال لذكره هنا فليراجع. ينظر: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: ١٤٢١ هـ)، (**شرح العقيدة الواسطية**)، ج١، تحقيق: سعد بن فواز الصميل، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، (الطبعة: السادسة، ١٤٢١هـ)، ٢٢٢.

(٣) سليمان الجمل، (**حاشية الجلالين، مرجع سابق**)، ٢/ ٢٩١.

الخاتمة

تناول البحث الكنز الجليل على مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات النسفي للعلامة إبراهيم بن إبراهيم الجناجي المعروف ببصيلة المتوفى سنة ١٣٥٢ه (دراسة وتحقيق: من أول سورة التوبة إلى الآية ٣٠)، وتكون من مقدمة ومبحثين، شملت المقدمة أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، ومنهجه، والدراسات السابقة، بينما جاء المبحث الأول للتعريف بصاحب الكتاب من حيث اسمه ونسبه، ومولده ونشأته، وفضله وثناء العلماء عليه، وأبرز مصنفاته، ووفاته، بينما جاء المبحث الثاني عبارة عن دراسة وتحقيق من الآية الأولى وحتى الآية الثلاثين من سورة التوبة، في ضوء الكنز الجليل على مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات النسفي للعلامة إبراهيم بن إبراهيم الجناجي المعروف ببصيلة، ثم اختتم البحث بأبرز النتائج، ومنها:

- ولد الإمام النسفي في بلدة (إيْذَج) بكسر الهمزة وسكون الياء وذال معجمة مفتوحة وجيم، وهي من قرى سمرقند عند الجبل، وهي التي ولد بها، وينسب إليها كثير من العلماء.

- كان للمحيط البيئي الذي عاش فيه الإمام النسفي أثر كبير في تكوينه العلمي والخلقي، فقد ذكرت كتب التراجم أنه تلقى العلم على أيدي علماء من أهل زمانه، كان لهم كبير الأثر في نمو معرفته وثقافته ونضجه الفكري.

- للإمام النسفي الكثير من التلاميذ الذين طلبوا العلم على يديه؛ وذلك لسعة علمه، ولكن لم تعن التراجم ببيان هؤلاء التلاميذ- وهم غير قليل-، وقد يرجع ذلك لضعف شهرتهم، أو للاضطرابات السياسية آنذاك.

- لقد بلغ الإمام النسفي مكانة علمية رفيعة؛ وذلك بجده واجتهاده ومثابرته في تحصيل شتى العلوم والمعارف، إضافة إلى ما وهبه الله تعالى من تقوى وزهد وورع، وهذا واضح في مؤلفاته، التي تدل على علو مكانته العلمية؛ فاشتهر في عصره وبعد عصره، وأثنى العلماء عليه في كل زمان. الإمام النسفي ماتريدي العقيدة ومن أعيانها ومشايخها ومؤيديها.

- تابع الإمام النسفي أستاذه الكَرْدَري في موافقة أبي حنيفة في الفقه، وصار إماماً من أئمة المذهب الحنفي، وفقيهاً من فقهائه.

- لسورة التوبة أسماء عشرة: سورة التوبة، وسورة براءة، وهذان الإسمان مشهوران، وهي المقشقشة، قاله ابن عمر-رضي الله عنه- سميت بذلك؛ لأنها تقشقش من النفاق أي: تبرئ منه، وهي المبعثرة لأنها تبعثر عن أخبار المنافقين وتبحث عنها وتثيرها، وهي الفاضحة قاله ابن عباس -رضي الله عنهما- لأنها فضحت المنافقين، وسورة العذاب قاله حذيفة، وهي المخزية لأن فيها خزى المنافقين. وهي المدمدمة سميت بذلك؛ لأن فيها هلاك المنافقين. وهي المشردة سميت بذلك؛ لأنها شردت جموع المنافقين وفرقتهم. وهي المثيرة سميت بذلك؛ لأنها أثارت مخازي المنافقين وكشفت عن أحوالهم وهتكت أستارهم.
- اختلف العلماء في سبب سقوط البسملة في أول هذه السورة على خمسة أقوال: (الأول) أنه قيل: كان من شأن العرب في زمانها في الجاهلية إذا كان بينهم وبين قوم عهد فأرادوا نقضه كتبوا إليهم كتاباً ولم يكتبوا فيه بسملة، فلما نزلت سورة براءة بنقض العهد الذي كان بين النبي -ﷺ- والمشركين بعث بها النبي -ﷺ- علي بن ابي طالب –رضي الله عنه- يقرؤها عليهم في الموسم، ولم يبسمل في ذلك على ما جرت به عادتهم في نقض العهد من ترك التسمية. (القول الثاني) ما رواه النسائي عن ابن عباس-رضي الله عنها- قال: "قلت لعثمان ما حملكم إلى أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني وإلى براءة وهي من المئين، فقرنتم بينهما ولم تكتبوا سطر بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعتموها في السبع الطوال، فما حملكم على ذلك؟ قال عثمان -رضي الله عنه-: "أن رسول الله -ﷺ- كان إذا نزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب عنده فيقول: (ضعوا هذه السورة التي فيها كذا وكذا). وتنزل عليه الآيات فيقول: (ضعوا هذه الآيات في السورة التي [يذكر] فيها كذا وكذا)، وكانت الأنفال من أوائل ما أنزل بالمدينة، وبراءة / من آخر القران [نزولاً]. وكانت قصتها شبيهة بقصتها، وقبض رسول الله –ﷺ-ولم يبين لنا أنها منها، فظننت أنها منها، فمن ثم قرنت بينهما ولم اكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم. وخرجه أبو عيسى الترمذي وقال: حديث حسن.
- (القول الثالث) ما روي عن عثمان -رضي الله عنه- أيضاً. وقال مالك فيما رواه ابن وهب، وابن القاسم، وابن عبد الحكم: أنه لما سقط أولها سقط بسم الله الرحمن الرحيم معه. وروى ذلك عن ابن عجلان أنه بلغه أن سورة براءة كانت تعدل البقرة أو قربها فذهب منها أولها، فلذلك لم يكتب بينهما بسم الله الرحمن الرحيم. (القول الرابع) قاله خارجة وأبو عصمة وغيرهما، قالوا: لما كتبوا المصحف في خلافة عثمان –رضي الله عنه- اختلف أصحاب رسول الله –ﷺ- فقال بعضهم براءة والأنفال سورة واحدة، وقال بعضهم هما سورتان، فتركت بينهما فرجة لقول من قال هما سورتان، وتركت [البسملة]

لقول من قال هما واحدة، فرضي الفريقان معاً وثبتت حجتهما في المصحف.
(القول الخامس) قال عبد الله ابن عباس –رضي الله عنهما-: سألت علي ابن أبي طالب -رضي الله عنه- لِما لم تكتب في براءة البسملة؟ قال: "لأن البسملة أمان، وبراءة نزلت بالسيف ليس فيها أمان. هذا والصحيح أن التسمية لم تكتب؛ لأن جبريل -عليه السلام- ما نزل بها في هذه السورة. قاله القشيري.

ومن توصيات البحث ما يلي:

- العمل على دراسة وتحقيق بقية آيات سورة التوبة.
- تنفيذ مشاريع بحثية أخرى تعتني بدراسة وتحقيق وتفسير سور القرآن الكريم وربط ذلك بالواقع المعاصر وبيان مدى الاستفادة.
- الاهتمام بدراسة فكر الإمام النسفي وأبرز آراؤه واتجاهاته الفكرية من خلال تفسيره.